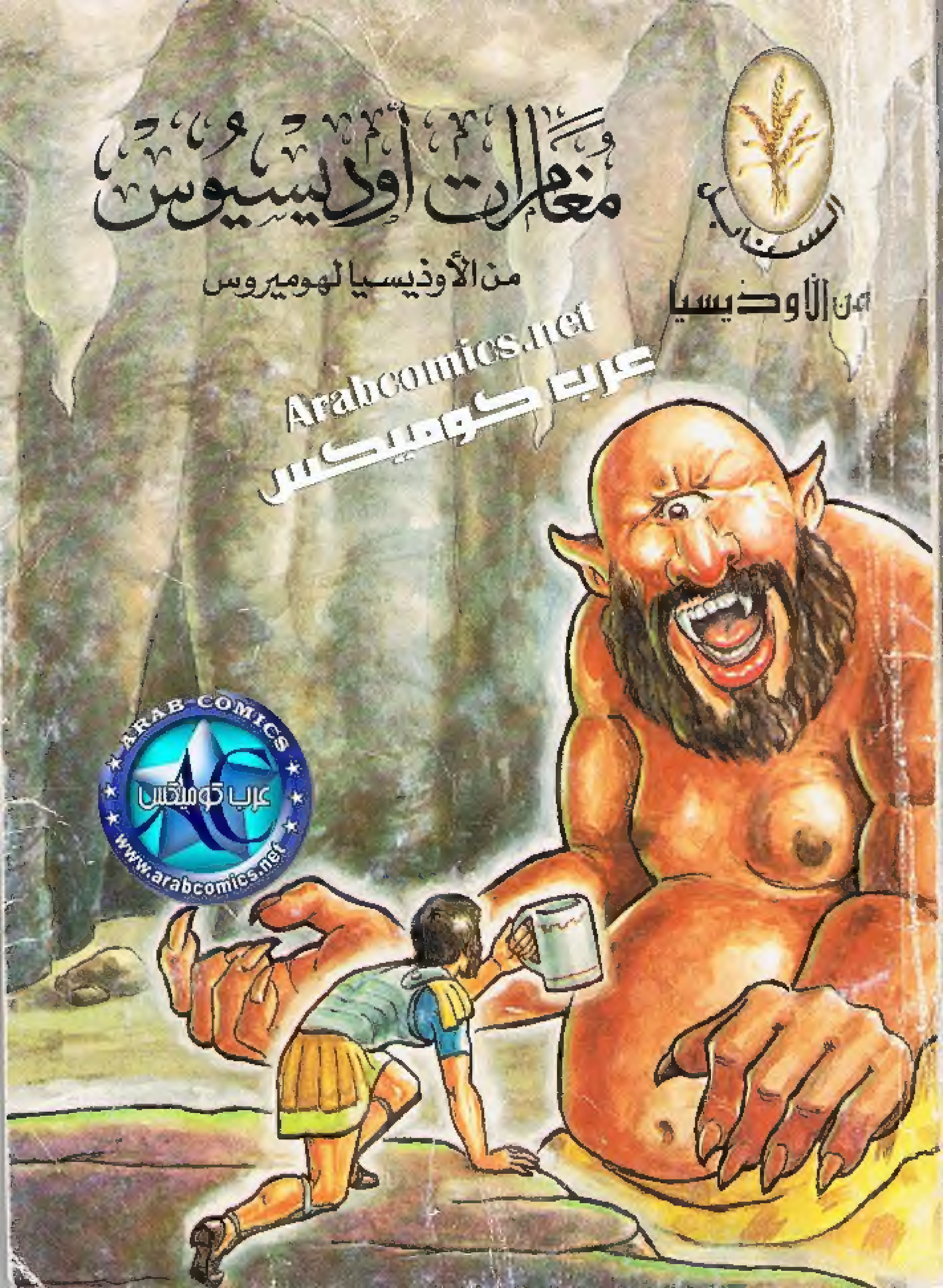
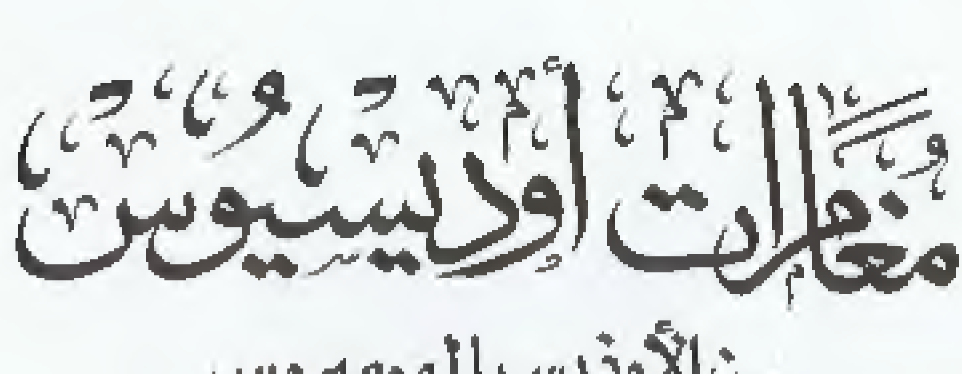


السنابل
من الأوذيسيا
مغامرات أوديسيوس
من الأوذيسيا لهوميروس






من الأوديسيا




من الأوديسيا لهوميروس




كتبها : أمين سلامة

دققها وحررها : الدكتور علي عبد المنعم

راجعها : الدكتور أحمد عتمان

رسوم : جوزيف حكيم جرجس


مكتبة لبنان


رئيس التحرير : وجدي رزق غالي





١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر





الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٦٩ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٦٩ - ٩

طبع في دار نوبار للطباعة



## الفصل الأول

# أَرْضُ الكُوكْلوبس

خَلَّفَ الإغْرِيقُ طُرْوادَةَ وراءَهُمْ حُطاماً تَشْتَعِلُ فيهِ النِّيرانُ ، وَرَكِبوا البَحْرَ عائِدينَ إلى بِلادِهِمْ يَسْتَشْعِرونَ حَلاوَةَ النَّصْرِ ، وَيُحِسّونَ بِزَهْوِ الفَخْرِ . وَلكِنَّ هذِهِ العَوْدَةَ لَمْ تَكُنْ مُريحَةً وَلا مُمْتِعَةً ، فَقَدْ صادَفَتْهُمْ مَتاعِبُ وَأَهْوالٌ كَثيرَةٌ ، حَتّى إنَّ بَعْضَ القادَةِ مِنْهُمْ قَضى سَنَواتٍ عِدَّةً قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ بُلوغِ أَرْضِهِ ، وَالاِسْتِقْرارِ في وَطَنِه .

لَقَدْ أَعانَتِ الرّيحُ الطَّيِّبَةُ نَسْطور العَجوزَ ، فَسَرْعانَ ما عادَ إلى بَلْدَتِهِ بِيلوسِ في حينِ كانَتْ عَوْدَةُ أغامِمْنون النَّبيلِ رِحْلَةً مَحْفوفَةً بِالمَخاطِرِ وَالآلامِ : ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَتَهُ كلوتمنسْترا – شَقيقَةَ هيليني – وَقَدْ طالَتْ عَلَيْها غَيْبَتُهُ ، وَخُيِّلَ إِلَيْها أَنَّهُ قَدْ فارَقَ الحَياةَ ، هَفا قَلْبُها

إِلى شابٍّ يُدْعى أَيْجِسْتُوس وهو ابن عم زوجها فَتزَوَّجَتْهُ .

وَكأنَّما أَوْجَسَ أَيْجِسْتُوس خيفَةً ، وَتَوَقَّعَ ما يَلْقاهُ مِنْ شَرٍّ لَوْ عادَ أَغامِمْنُون سالِماً ، فَأَعَدَّ لِلأَمْرِ عُدَّتَهُ ، وَأَقامَ مُراقِباً فَوْقَ قَلْعَةٍ عالِيَةٍ بِالقُرْبِ مِنْ شاطِئِ البَحْرِ ، يُلاحِظُ ظُهورَ سُفُنِ أَغامِمْنُون ، حَتّى إِذا ما رَآها أَسْرَعَ عائِداً إِلى موكيناي يَحْمِلُ نَبَأَ عَوْدَةِ أَغامِمْنُون . وَحينَ وَصَلَ الخَبَرُ تَظاهَرَ أَيْجِسْتُوس بِالشَّوْقِ يَمْلأُ قَلْبَهُ ، وَبِالفَرْحَةِ تَغْمُرُ نَفْسَهُ بِعَوْدَةِ البَطَلِ وَرِفاقِهِ الظّافِرينَ . وَكانَ قَدْ أَخْفى عِشْرينَ جُنْدِيّاً مُسَلَّحاً في السّاحَةِ العُظْمى . وَهَبَطَ لِلِقاءِ الأَبْطالِ العائِدينَ وَالاحتِفاءِ بِهِمْ وَمُرافَقَةِ أَغامِمْنُون في دُخولِهِ القَصْرَ ، ثُمَّ أَقامَ لَهُمْ وَليمَةً تَكْريماً وَتَعْظيماً . وَبَيْنَما هُمْ مُسْتَغْرِقونَ فيما أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَطايِبَ وَلَذائِذَ في الوَليمَةِ ، كانوا في شَوْقٍ إِلَيْها بَعْدَ سَفَرٍ طَويلٍ وَمَشاقَّ مُضْنِيَةٍ ، خَرَجَ عَلَيْهِمْ أُولئِكَ الجُنودُ المُخْتَبِئونَ فَقَضَوْا عَلَيْهِمْ جَميعاً .

أَمّا أوديسيوسُ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئاً عَنْ هَذِهِ الأَحْداثِ فَوْرَ وُقوعِها ، وَإِنَّما بَلَغَتْهُ أَنْباؤُها بَعْدَ حينٍ . وَخَشِيَ عَلى نَفْسِهِ أَنْ يُصيبَها ما أَصابَ أَغامِمْنُون وَرِفاقَهُ ، أَوْ أَنْ يَكونَ الأَعْداءُ مُتَرَبِّصينَ بِهِ ، رابِضينَ لَهُ في دارِهِ كَذَلِكَ ، فَعَمَدَ إِلى الحيلَةِ عِنْدَما وَصَلَ



مَشارِفَ وَطَنِهِ : فَارْتَدى ثِيابَ رَجُلٍ غَريبٍ ، وَدَخَلَ قَصْرَهُ مُتَنَكِّراً في هَيْئَةِ شَحّاذٍ ، حَتّى إِذا تَمَكَّنَ مِنْهُ أَفْصَحَ عَنْ نَفْسِهِ .

بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَرْضَهُ ، وَيَصِلْ إِلى قَصْرِهِ في هُدوءٍ ، بَلْ تَقاذَفَتْهُ المُغامَراتُ ، وَتَقاسَمَتْهُ الأَهْوالُ ، وَكابَدَ أَلْواناً مِنَ الشَّقاءِ سِنينَ طَويلَةً حَتّى أَلْقى عَصا التَّرْحالِ أَخيراً في وَطَنِهِ .

لَقَدْ ساقَتِ الرِّياحُ سُفُنَهُ – بَعْدَ أَنْ غادَرَ طُرْوادَةَ – إِلى شاطِئِ طراقِيا ، وَكانَ يَقْطُنُها قَوْمٌ تَرْبِطُهُمْ بِأَهْلِ طُرْوادَةَ أَواصِرُ المَوَدَّةِ وَالصَّداقَةِ . فَنَزَلَ إِلى البَرِّ هُوَ وَرِجالُهُ في مدينة إِسْماروس ، وَاسْتَوْلَوْا عَلى المَدينَةِ ، وَأَحْرَقوها عَنْ آخِرِها ، كَما أَحْرَقوا طُرْوادَةَ مِنْ قَبْلُ . لكِنَّ أوديسيوس لَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ مِنْ رِجالِهِ أَنْ يَمَسَّ كاهِنَ أبوللو – مارون – بِأَدْنى أَذًى ، بَلْ قَدَّمَ الحِمايَةَ لِلْكاهِنِ وَزَوْجِهِ وَ وَلَدِهِ . وَشَكَرَ الكاهِنُ لِأوديسيوس صَنيعَهُ ، وَأَبْدى عِرْفانَهُ لِفِعْلِهِ ، فَأَهْداهُ الكَثيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَالكَثيرَ مِنَ القُدورِ المَمْلوءَةِ بِعَصيرِ الأَعْنابِ المُرَكَّزَةِ ، القَوِيَّةِ المَذاقِ وَالمَفْعولِ حَتّى إِنَّ الرِّجالَ كانوا يَمْزُجونَ المِكْيالَ الواحِدَ مِنْها بِعِشْرينَ مِكْيالاً مِنَ الماءِ قَبْلَ احتِسائِها .

وَحَمَلَ أوديسيوس هَداياهُ في سَفينَتِهِ ، وَبَلَغَ مِنْهُ السُّرورُ بِها مَبْلَغاً

كَبيراً فيما أتَتْ بِهِ الأيامُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أحْداثٍ .

وَسارَ أوديسْيوس مُتَّجِهاً إلى بِلادِهِ ، وَلكِنْ تَأتي الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي السُّفُنُ ! فَقَدْ هَبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، دَفَعَتِ السُّفُنَ بَعيداً عَنْ مَجْراها القَويمِ ، وَظَلَّتْ تَتَقاذَفُها جَنوباً في مِياهٍ مَجْهولَةٍ تِسْعَةَ أيامٍ ، حَتّى إذا كانَ اليَوْمُ العاشِرُ بَلَغَتِ السُّفُنُ بِلادَ « أكَلَةِ اللُّوتس » . وَكانَ الجوعُ قَدْ بَلَغَ مِنَ القَوْمِ مَبْلَغَهُ ، وَالإرْهاقُ قَدْ وَصَلَ مِنْهُمْ غايَتَهُ ؛ فَأرْسَلَ أوديسْيوس إلى الشّاطِئِ ثَلاثَةً مِنْ رِجالِهِ الأشِدّاءِ ، يَلْتَمِسونَ لَهُمُ الطَّعامَ وَالماءَ ، فَوَجدوا « أكَلَةَ اللُّوتس » قَوْماً يَتَّصِفونَ بِالهُدوءِ ، وَتَفيضُ قُلوبُهُمْ بِالمَوَدَّةِ ، وَتَبْدو عَلى وُجوهِهِمُ البَشاشَةُ ، يُعْطونَ عَنْ طيبِ خاطِرٍ ما يُؤْنِسونَ بِهِ وَحْشَةَ الغَريبِ . وَلِذا أعْطَوا البَحّارَةَ الغُرَباءَ بَعْضَ ثِمارِ اللُّوتس ، يَسُدّونَ بِهِ جوعَهُمْ ، وَيُمْسِكونَ بِهِ حَياتَهُمْ .

وَلكِنْ ثَمَّةَ حَقيقَةٌ كانَتْ خافِيَةً عَلى هؤُلاءِ البَحّارَةِ الغُرَباءِ ، وَهِيَ مِنْ خَصائِصِ ثَمَرِ اللوتس ، وَلا يَعْلَمُها غَيْرُ أصْحابِ الأرْضِ ؛ فَمَنْ تَذَوَّقَ ثَمَرَةَ اللوتس أصابَهُ شُعورٌ قَوِيٌّ بِالاطْمِئْنانِ إلى الجَزيرَةِ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رَغْبَةٌ عارِمَةٌ في عَدَمِ مُغادَرَتِها ، وَصارَ يُؤْثِرُ المُقامَ فيها مُسْتَغْرِقاً في أحْلامٍ هَنيئَةٍ سَعيدَةٍ ، ناسِياً كُلَّ ما حَوْلَهُ في العالَمِ الخارِجِيِّ مِنْ أشْياءَ وَأحْياءٍ .



أكَلَ البَحّارَةُ الثَّلاثَةُ مِنْ ثِمارِ اللوتس ، فَجَلَسوا هانِئينَ ، يَنْعَمونَ بِأحْلامِهِمُ الحُلْوَةِ ، لا يَذْكُرونَ مِنْ أمْرِ أصْحابِهِمْ شَيْئاً . وَلَمّا أبْطَأَ خَبَرُهُمْ ذَهَبَ أوديسيوس يَبْحَثُ عَنْهُمْ ، وَما إنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ ، وَأدْرَكَ حالَهُمْ ، حَتّى اقْتادَهُمْ إلى السَّفينَةِ عَنْوَةً ، حَيْثُ قَيَّدَهُمْ فيها ، وَأبْحَرَ بِرِجالِهِ بَعيداً عَنْ هَذِهِ الجَزيرَةِ ، مُسْرِعاً في إبْحارِهِ ما اسْتَطاعَ إلى ذَلِكَ سَبيلاً .

وَبَعْدَ أيامٍ أخْرى مِنَ السَّفَرِ المُضْني ، وَالتَّرْحالِ الشّاقِّ ، ألْقَى أوديسْيوس وَرِجالُهُ مَراسِيَ سُفُنِهِمْ عَلى شاطِئِ جَزيرَةٍ مَجْهولَةٍ لَهُمْ ، لا يَعْرِفونَ عَنْها وَلا عَنْ سُكّانِها قَليلاً وَلا كَثيراً .. تِلْكَ كانَتْ أرْضَ الكوكْلوبس .

وَكانَ سُكّانُ أرْضِ الكوكْلوبس قَوْماً مِنَ العَمالِقَةِ ، يَتَمَيَّزونَ في خِلْقَتِهِمْ عَنْ سائِرِ البَشَرِ بِأنَّ لِلعِمْلاقِ مِنْهُمْ عَيْناً واحِدَةً في وَسَطِ جَبْهَتِهِ . وَكانوا يَتَّخِذونَ أكْواخاً لَهُمْ وَسْطَ التِّلالِ ، أوْ يَتَّخِذونَ مِنَ الكُهوفِ بُيوتاً يَعيشونَ فيها ، وَيَحْتَفِظونَ داخِلَها بِما لَدَيْهِمْ مِنْ طَعامٍ وَفيرٍ ، وَماشِيَةٍ كَثيرَةٍ .

وَأخْفى أوديسْيوس وَرِجالُهُ سُفُنَهُمْ داخِلَ مِياهِ الخَليجِ ، تَحْجُبُها عَنِ الجَزيرَةِ الكَبيرَةِ جَزيرَةٌ أخْرى صَغيرَةٌ ، فَلا يُبْصِرُها سُكّانُ

الكُوكْلُوبس ، وَلا يُحِسّونَ بِها . وَأَمْضى الرِّجالُ يَوْمَهُمْ في صَيْدِ العَنْزاتِ البَرِّيَّةِ ، وَالاسْتِمْتاعِ بِأَكْلِ لَحْمِها الطّازَجِ ، وَاحْتِساءِ عَصيرِ مارون ، كاهِنِ أبوللو في مدينة إسْماروس . وَفي اليَوْمِ التّالي اصْطَحَبَ أوديسْيوس اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ رِفاقِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ يَضْرِبُ في أَرْضِ الجَزيرَةِ ، يُحاوِلُ أَنْ يَسْتَكْشِفَ مَجاهِلَها ، وَأَنْ يَتَعَرَّفَ عَلى نَوْعِيَّةِ سُكّانِها ، فَوَجَدوا كَهْفاً ضَخْماً قَريباً مِنَ البَحْرِ ، وَتَلَفَّتوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ تَقَعْ أَعْيُنُهُمْ عَلى أَحَدٍ قَريبٍ مِنَ الكَهْفِ . وَنَظَروا داخِلَهُ فَأَدْهَشَهُمْ ما رَأَوْهُ مِنْ أَقْفاصٍ كَثيرَةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالجُبْنِ ، وَآنِيَةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِاللَّبَنِ ، وَحُمْلانٍ صَغيرَةٍ تَمْرَحُ في حَظيرَتِها . وَبَدا كُلُّ شَيْءٍ هادِئاً ، تُرَفْرِفُ عَلَيْهِ السَّكينَةُ ، وَتَسودُهُ الطُّمَأْنينَةُ .

أَرادَ الرِّجالُ أَنْ يَحْمِلوا ما يَسْتَطيعونَ حَمْلَهُ مِنْ أَقْفاصِ الجُبْنِ ، وَيَعودوا إِلى سُفُنِهِمْ ، قانِعينَ بِما أَصابوا مِنْ غُنْمٍ ، وَلكِنَّ نَفْسَ أوديسْيوس كانَتْ تَوّاقَةً إِلى رُؤْيَةِ صاحِبِ الكَهْفِ ، مُتَطَلِّعَةً إِلى التَّعَرُّفِ عَلى سُكّانِ هذِهِ الأَرْضِ مِنْ قُرْبٍ ، فَآثَروا البَقاءَ في الكَهْفِ مُتَمَتِّعينَ بِما يَطْعَمونَ مِنَ الجُبْنِ ، وَبِما يَحْتَسونَ مِنْ عَصيرِ مارون الَّذي كانوا يَحْمِلونَ بَعْضاً مِنْهُ مَعَهُمْ .

وَلَمّا أَقْبَلَ المَساءُ دَخَلَ الكَهْفَ عِمْلاقٌ هائِلٌ ، يَحْمِلُ فَوْقَ كَتِفَيْهِ جِذْعَ شَجَرَةٍ ضَخْماً أَلْقاهُ عَلى الأَرْضِ ، كَيْ يَسْتَخْدِمَهُ وَقوداً



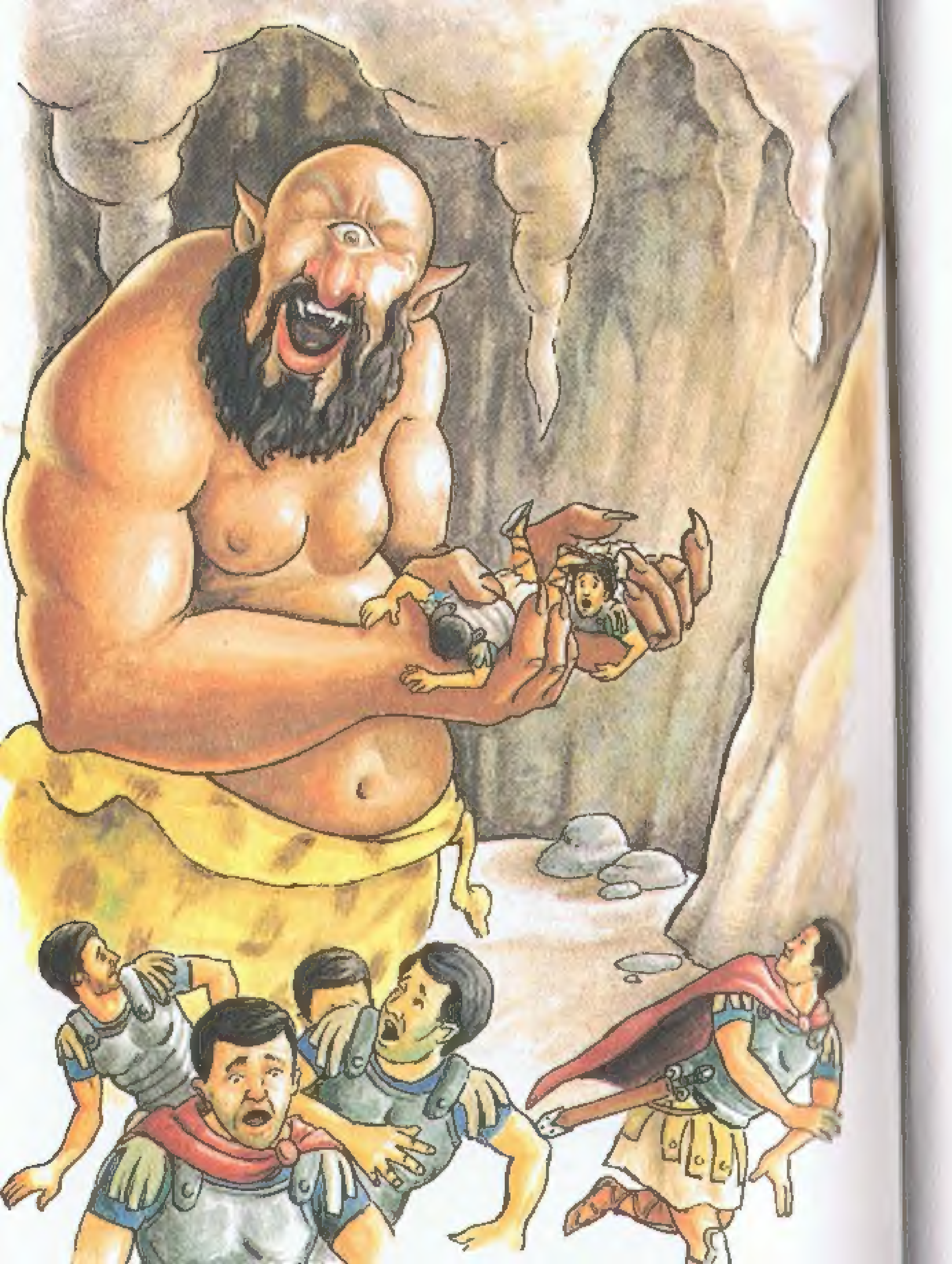
لِنيرانِهِ . وَساقَ قُطْعانَ ماشِيَتِهِ إِلى داخِلِ الكَهْفِ ، ثُمَّ رَفَعَ صَخْرَةً عَظيمَةً كانَ يَضَعُها عِنْدَ مَدْخَلِ الكَهْفِ لِيُحْكِمَ بِها إِغْلاقَ بابِهِ . وَكانَتْ صَخْرَةً هائِلَةً لَيْسَ في مَقْدورِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرينَ جَواداً مِنْ أَقْوى الجِيادِ وَأَشَدِّها – رَفْعُها مِنْ مَكانِها ، أَوْ زَحْزَحَتُها عَنْهُ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ . ثُمَّ حَلَبَ العِمْلاقُ عَنْزاتِهِ ، وَ وَضَعَ لَبَنَها في الآنِيَةِ ، لِيَكونَ شَراباً لَهُ في أَكْلَةِ العَشاءِ .

وَظَلَّ أوديسيوسُ وَرِجالُهُ طَوالَ ذلِكَ الوَقْتِ ، يَرْقُبونَ صَنيعَ العِمْلاقِ في صَمْتٍ ، وَيَحْبِسونَ أَنْفاسَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ ، يُسَيْطِرُ عَلَيْهِمُ الجَزَعُ ، وَيَسْتَوْلي عَلَيْهِمُ الفَزَعُ ، فَقَدْ أَصْبَحوا سُجَناءَ الكَهْفِ مَعَ العِمْلاقِ وَحيدِ العَيْنِ ، الَّذي أَكَلوا بَعْضَ جُبْنِهِ .

وَفَجْأَةً لاحَتْ مِنَ العِمْلاقِ نَظْرَةٌ ، وَقَعَتْ عَلى أوديسْيوس وَرِجالِهِ ، فَصاحَ بِهِمْ صَيْحَةً مُنْكَرَةً : « مَنْ تَكونونَ ؟»

أَجابَ أوديسيوس : « نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الإِغْريقِ ، ضَلَلْنا الطَّريقَ في عَوْدَتِنا مِنْ طُرْوادَةَ إِلى بِلادِنا . وَاضْطَرَبَتْ بِنا البِحارُ ، حَتّى لَفَظَتْنا الأَمْواجُ عَلى شاطِئِ جَزيرَتِكُمْ ، فَارْفُقْ بِنا أَيُّها العِمْلاقُ العَظيمُ بِحَقِّ إِلهِنا زيوس !»

قَهْقَهَ العِمْلاقُ ، ثُمَّ قالَ : « نَحْنُ جَماعَةُ الكُوكْلُوبس لا نَهْتَمُّ



أبداً بأحدٍ ، فنحنُ قومٌ أقوياءُ ، ونقدرُ على فعلِ ما نريدُ . أينَ تقعُ سفينتُكُمْ ؟»

ورأى أوديسيوس أنّهَ منَ الحكمةِ ألا يعرفَ العملاقُ شيئاً عنْ مكانِ سفنِهِمْ ، ومنْ ثمَّ أجابَهُ : « إنَّ سفينتَنا قدْ تحطّمتْ ، وذهبتْ أدراجَ الرّياحِ في المياهِ .»

لكنَّ العملاقَ لمْ يُعرْ هذا الجوابَ انتباهاً ، وإنّما مدَّ يدَهُ الطّويلةَ القويّةَ وجذبَ اثنينِ منَ الرّجالِ في لحظةٍ خاطفةٍ ، فمزّقَ جسديْهِما أشلاءً ، وقامَ بشيِّهِما على النّيرانِ الّتي كانَ قدْ أوقدَها ، ثمَّ التهمَهُما أكلةَ عشائِهِ ، وشربَ منَ اللّبنِ ما شاءَ منَ الآنيةِ ، ثمَّ راحَ في سُباتٍ عميقٍ .

كلُّ ذلكَ تمَّ في لحظةٍ خاطفةٍ ، عقدَ الخوفُ فيها ألسنةَ الرّجالِ ، وشلَّ فاعليّتَهُمْ ، ففغروا أفواهَهُمْ منْ شدّةِ الرّعبِ ، واتّسعتْ أحداقُهُمْ منْ قسوةِ الهولِ ، وهُمْ ينظرونَ إلى العملاقِ نظرَ المغشيِّ عليْهِ منَ الموتِ .

وحينَ ثابَ إلى أوديسيوس رُشْدُهُ ، أخذَ يقلّبُ الأمرَ على وجوهِهِ ، فرأى أنْ يقتلوا العملاقَ وهوَ يغطُّ في نومِهِ . لكنّهُ رآها فكرةً غيرَ صائبةٍ ، فلوْ قُدِّرَ لهُمْ أنْ يُفلحوا في القضاءِ عليْهِ للبثوا

في الكَهْفِ أسْرى الرُّعْبِ وَالفَزَعِ حَتّى يَقْضوا نَحْبَهُمْ ؛ إذْ لَيْسَ إلى خُروجِهِمْ مِنْهُ مِنْ سَبيلٍ ، طالَما بَقِيَتِ الصَّخْرَةُ جاثِمَةً هُناكَ تَسُدُّ مَدْخَلَهُ ، وَما لَهُمْ بِزَحْزَحَتِها عَنْ مَكانِها طاقَةٌ وَلا قُدْرَةٌ .

وَفي الصَّباحِ التَهَمَ العِمْلاقُ رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ أكْلَةَ إفْطارِهِ ، وَ مَضى لِشَأْنِهِ ، فَساقَ قُطْعانَ ماشِيَتِهِ إلى خارِجِ الكَهْفِ ، ثُمَّ أحْكَمَ إغْلاقَ بابِهِ بِوَضْعِ الصَّخْرَةِ الضَّخْمَةِ في مَدْخَلِهِ . غَيْرَ أنَّ الأمَلَ لَمْ يَتَسَرَّبْ مِنْ نَفْسِ أوديسْيوس . فَاستَجاشَ هِمَّتَهُ ، وَاستَثارَ عَزيمَتَهُ ، وَأنْشَأَ يُديرُ في رَأسِهِ خُطَّةً مُحْكَمَةً ، يَبْتَغي مِنْ وَرائِها إنْقاذَ نَفْسِهِ وَرِفاقِهِ .

كانَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ قَدْ تَرَكَ جِذْعَ الشَّجَرَةِ الضَّخْمَ داخِلَ الكَهْفِ ، فَاقْتَطَعَ مِنْهُ أوديسْيوس قِطْعَةً يَبْلُغُ طولُها مِتْرَيْنِ ، وَأخَذَ يَبْري طَرَفَها بَرْيًا مُتْقَنًا وَاخْتارَ أرْبَعَةً مِنْ رِجالِهِ ، اتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلى أنْ يُدْخِلوا الطَّرَفَ المُدَبَّبَ داخِلَ عَيْنِ العِمْلاقِ عِنْدَما يَنامُ .

وَحينَما غَرَبَتِ الشَّمْسُ عادَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ إلى كَهْفِهِ ، يَسوقُ خِرافَهُ إلى داخِلِهِ مِنْ جَديدٍ ، ثُمَّ أغْلَقَ بابَهُ الحَجَرِيَّ ، وَفَتَكَ بِرَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ : طَهاهُما وَالتَهَمَهُما أكْلَةَ عَشائِهِ.

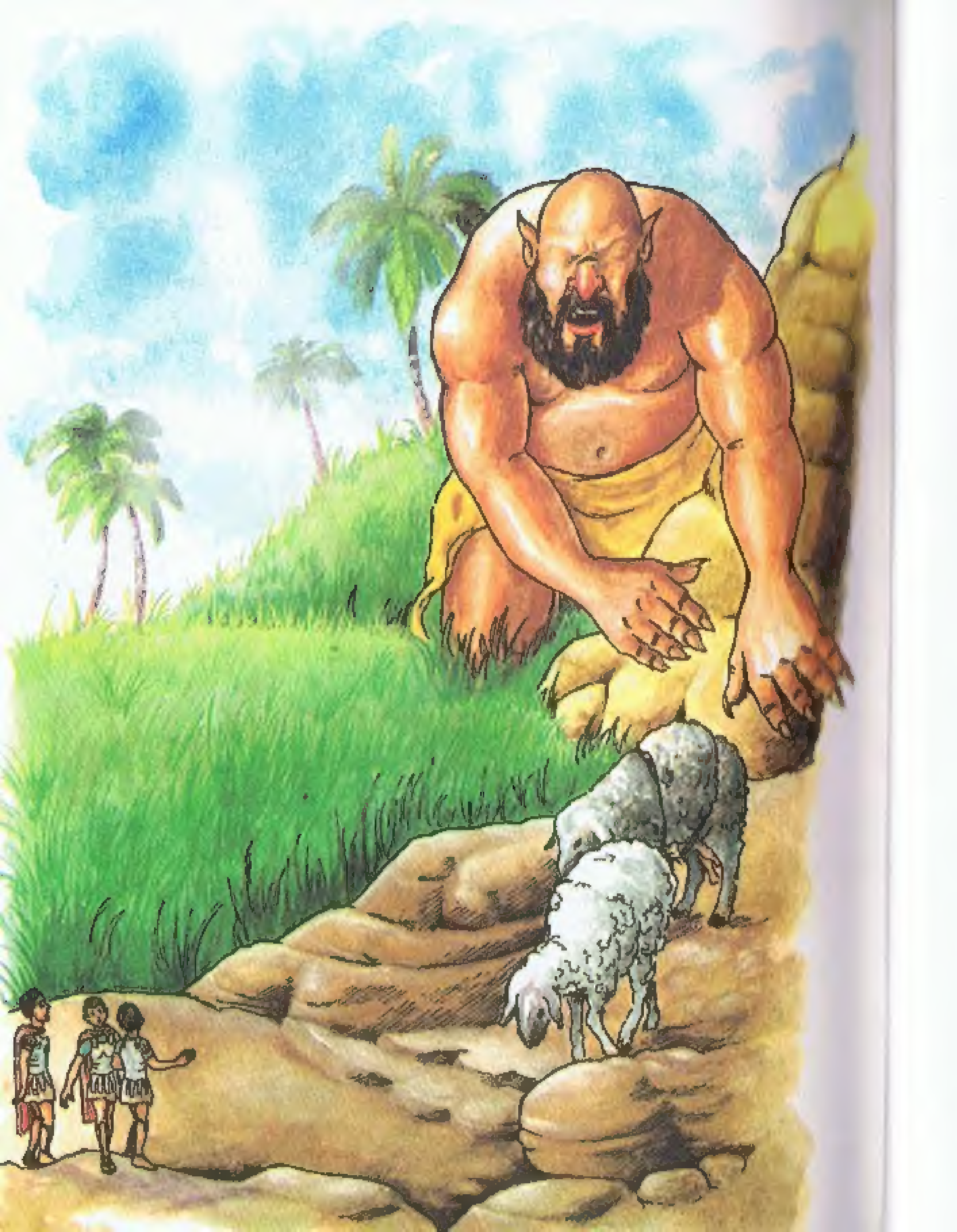
وَكانَ أوديسْيوس قَدْ مَلأَ أحَدَ الآنِيَةِ مِنْ عَصيرِ مارون القَوِيِّ



المَذاقِ وَالمَفْعولِ ، دونَ أنْ يَمْزُجَها بِنُقْطَةِ ماءٍ واحِدَةٍ ، وَقَدَّمَ هَذا الإناءَ المُمْتَلِئَ بِالعَصيرِ المُعَتَّقِ إلى العِمْلاقِ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ ذاقَ طَعْمَ عَصيرِ الأعْنابِ طَوالَ حَياتِهِ . وَأخَذَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ يَعُبُّ العَصيرَ عَبًّا . وَسَرْعانَ ما دَبَّتِ النَّشْوَةُ في أوْصالِهِ ، وَدارَتْ رَأسُهُ ، وَقالَ إنَّهُ سَيُعْطي هَذا الرَّجُلَ هَدِيَّةً ذاتَ قيمَةٍ ، ثُمَّ سَألَهُ : « ما اسمُكَ يا فَتى ؟»

أجابَ أوديسيوسُ ، وَكَأنَّما هَيَّأَ نَفْسَهُ لِهَذا السُّؤالِ مِنْ قَبْلُ : « اِسْمي « أوديس » .» ( « أوديس » بِاليونانِيَّةِ تَعْني : « لا أحَدَ » ، وَتَتَشابَهُ مَعَ المَقْطَعِ الأوَّلِ مِنِ اسْمِ أوديسيوس ، وهو « أوديس » .)

وَحينَئِذٍ قالَ لَهُ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ : « إذاً سَألْتَهِمُ الرِّجالَ الآخَرينَ أوَّلًا ، أمّا أنْتَ « يا أوديس » فَسَوْفَ أُبْقيكَ إلى النِّهايَةِ ، وَآكُلُكَ آخِرَ الرِّجالِ . هَذِهِ هِيَ هَدِيَّتي لَكَ .» قالَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ هذا القَوْلَ ، ثُمَّ راحَ في سُباتٍ عَميقٍ . وَفي الحالِ أمْسَكَ أوديسْيوس السّاقَ الخَشَبِيَّةَ الطَّويلَةَ ، وَ وَضَعَ طَرَفَها المُدَبَّبَ في النّارِ المَوْقَدَةِ ، حَتّى احْمَرَّ لَوْنُها ، ثُمَّ نَهَضَ الرِّجالُ الأرْبَعَةُ ، وَفي حَرَكَةٍ واحِدَةٍ نَشيطَةٍ قَوِيَّةٍ دَفَعوا طَرَفَها المُدَبَّبَ المُحْمَرَّ داخِلَ عَيْنِ العِمْلاقِ الوَحيدَةِ . لَقَدْ دَفَعوها دَفْعَةً واحِدَةً قَوِيَّةً ، مِمّا جَعَلَ



الـعِمْلاقَ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ صَرْخَةً مُرْعِبَةً مُدَوِّيَةً ، وَيَقْفِزُ واقِفاً عَلى قَدَمَيْهِ ، وَيَسْتَصْرِخُ في صَيْحاتٍ مَجْنونَةٍ إِخْوانَهُ العَمالِقَةَ الَّذينَ يَقْطُنونَ الكُهوفَ مِنْ حَوْلِهِ ، فَاسْتَجابوا لِصَرْخَتِهِ ، وَهَمّوا لِنَجْدَتِهِ ، وَهُمْ يَتَصايَحونَ سائِلينَ إِيّاهُ : « مَنِ الَّذي يُزْعِجُكَ ؟»

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ العِمْلاقُ : « لا أَحَدَ يَقْتُلُني !»

وَصاحَ العَمالِقَةُ بِصاحِبِهِمْ ضائِقينَ : « ما دامَ لا أَحَدَ يُؤْذيكَ ، فَلِماذا أَزْعَجْتَنا مِنْ نَوْمِنا الحُلْوِ ، وَنَغَّصْتَ عَلَيْنا لَيْلَتَنا الهَنِيَّةَ ؟»

وَعادوا إِلى نَوْمِهِمْ ، وَفي نُفوسِهِمْ مِنَ السَّخَطِ عَلى صاحِبِهِمْ ، وَالضّيقِ بِهِ ما لا حَدَّ لَهُ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أوديسيوس أَنْ يَكُفَّ نَفْسَهُ عَنِ الضَّحِكِ سُخْرِيَةً وَاسْتِهْزاءً بِالعَماليقِ ، وَقَدْ رَأى خُدْعَتَهُ تَنْطَلي عَلَيْهِمْ ، وَحيلَتَهُ تُؤْتي أَوَّلَ ثِمارِها .

وَما إِنْ أَشْرَقَ صَباحُ اليَوْمِ التّالي حَتّى هَبَّ العِمْلاقُ الأَعْمى ، يُزيلُ الصَّخْرَةَ الرّابِضَةَ في مَدْخَلِ الكَهْفِ . وَجَلَسَ عَلى بابِهِ باسِطاً ذِراعَيْهِ ، يُحاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِهَؤُلاءِ الرِّجالِ الأَسْرى لَوْ أَنَّهُمْ حاوَلوا الخُروجَ . لَكِنَّ أوديسيوس كانَ قَدْ أَعَدَّ لِلأَمْرِ حيلَةً أُخْرى يَتَغَلَّبُ

بِها عَلى قُوَّةِ العِمْلاقِ الأَعْمى ، وَيُنْقِذُ بِها نَفْسَهُ وَرِجالَهُ مِنْ بَيْنِ بَراثِنِه ؛ فَرَبَطَ كُلَّ ثَلاثَةٍ مِنَ الكِباشِ مَعًا رَبْطًا مُحْكَمًا ، ثُمَّ رَبَطَ رَجُلاً واحِدًا أَسْفَلَ بَطْنِ الكَبْشِ الأَوْسَطِ ، إِحْساسًا مِنْهُ بِأَنَّ العِمْلاقَ لَنْ يَتَحَسَّسَ غَيْرَ الكَبْشَيْنِ اللَّذَيْنِ في الطَّرَفَيْنِ ، تارِكًا الكَبْشَ الأَوْسَطَ . وَبِهَذِهِ الحِيلَةِ خَرَجَتِ الكِباشُ جَميعُها مِنْ بابِ الكَهْفِ ، والعِمْلاقُ الأَعْمى يَتَحَسَّسُ ظُهورَها وَبُطونَها ، وَلا يَدْري أَنَّها تَحْمِلُ الرِّجالَ جَميعًا إِلى فَضاءِ الحُرِّيَّةِ خارِجَ الكَهْفِ !

وَلَمّا أَصْبَحَ أُودِيسْيوس وَرِجالُهُ بِمَنْجاةٍ مِنَ العِمْلاقِ الأَعْمى ، فَكَّ أَرْبِطَةَ الرِّحالِ وَالكِباشِ ، وَهُرِعوا إِلى سُفُنِهِمْ يَسوقونَ كِباشَ العِمْلاقِ أَمامَهُمْ . وَبِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ أَقْلَعوا بِسُفُنِهِمْ مُبْحِرينَ ، فَلَمّا غَدَوْا عَلى مَسافَةٍ آمِنَةٍ مِنْ بَطْشِ العَماليقِ صاحَ أُودِيسْيوس بِالعِمْلاقِ الأَعْمى قائِلاً : « لَوْ سَأَلَكَ أَحَدٌ عَمَّنْ أَعْماكَ ، فَقُلْ لَهُ إِنَّهُ أُودِيسْيوس ابنُ لايرتيس مِنْ إِيثاكي ! »

عِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ العِمْلاقُ الأَعْمى ما حَلَّ بِهِ مِنْ خِزْيٍ ، وَأَنَّ قُوَّتَهُ لَمْ تُسْعِفْهُ في مُواجَهَةِ العَقْلِ الذَّكِيِّ الأَريبِ ، فَتَوَجَّهَ ضارِعًا إِلى أَبيهِ إِلَهِ البَحْرِ « بوسيدون » يَلْتَمِسُ مِنْهُ أَنْ يَنْتَقِمَ لَهُ مِنْ أُودِيسْيوس وَرِجالِهِ ، فَلا يُتيحُ لَهُ أَنْ يَبْلُغَ أَرْضَ وَطَنِهِ أَبَدًا ؛ وَإِذا كانَ مُقَدَّرًا لَهُ



بُلوغُها فَلا يَبْلُغُها إِلا مُنْفَرِدًا ، بَعْدَ سِنينَ طَويلَةٍ يُعاني فيها مِنَ المَشَقّاتِ والأَهْوالِ ما يَهُدُّ طاقَتَهُ ، وَيَفوقُ احتِمالَهُ ، لِيَجِدَ الحُزْنَ البَئيسَ يَتَرَبَّصُ بِهِ في ساحَةِ دارِهِ

وَفي لَحْظَةٍ غاضِبَةٍ يائِسَةٍ قَذَفَ العِمْلاقُ الأَعْمى صَخْرَةً هائِلَةً في عُرْضِ البَحْرِ ، سَقَطَتْ خَلْفَ سُفُنِ أُودِيسْيوس فَأَحْدَثَتْ في البَحْرِ هِياجًا ، وَدَفَعَتْ أَمْواجُهُ سُفُنَ أُودِيسْيوس بَعيدًا عَنِ الجَزيرَةِ .

وَهَكَذا أَبْحَرَ أُودِيسيوس وَالبَقِيَّةُ الباقِيَةُ مِنْ رِجالِهِ بَعيدًا عَنْ تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلْعونَةِ ، وَمَضَوْا يُتابِعونَ أَسْفارَهُمْ لَكِنَّ بوسيدون كانَ يَسْمَعُ تَضَرُّعَ ابنِهِ العِمْلاقِ الأَعْمى ، وَاسْتَجابَ لِضَراعَتِهِ ، وَقَرَّرَ أَلا يَعْفُوَ أَبَدًا عَنْ أُودِيسْيوس ، وَلا يَصْفَحَ عَنْ فَعْلَتِهِ .

# الفصلُ الثّاني
# كيرْكي السّاحِرَةُ

ظَلَّ أوديسيوس ورِجالُهُ يُمْعِنونَ في إبْحارِهِمْ، مُبْتَعِدينَ عَنْ تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلْعونَةِ – جَزيرَةِ العَماليقِ – حَتّى بَلَغوا جَزيرَةً أُخْرى، وَأَلْقَوْا مَراسِيَ سُفُنِهِمْ عَلى شاطِئِها. وَلَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ أَنَّ هَذِهِ الجَزيرَةَ تُدْعى «أيايا»، وَلَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ أَنَّ ساحِرَةً ماهِرَةً فاتِنَةً تُسَمّى «كيركي» تَسْتَوْطِنُها.

تَقَلَّدَ أوديسْيوس سَيْفَهُ، وامْتَشَقَ رُمْحَهُ، وَأَنْشَأَ يَرْتَقي تَلّاً مُجاوِراً لِلشّاطِئِ، حَتّى إِذا ما بَلَغَ قِمَّتَهُ أَبْصَرَ دُخاناً كَثيفاً يَتَصاعَدُ مِنْ غابَةٍ بَعيدَةٍ، فَأَدْرَكَ أَنَّ في تِلْكَ الغابَةِ قَوْماً يَعيشونَ. وَ راوَدَتْهُ فِكْرَةُ الذَّهابِ إِلَيْها، يَسْتَطْلِعُ أَمْرَها، وَيَسْتَوْضِحُ خَفِيَّها، أَوْ لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَ أَهْلِها خَبَراً عَنِ المَكانِ الَّذي هُوَ فيهِ، لَكِنَّهُ خَشِيَ الذَّهابَ



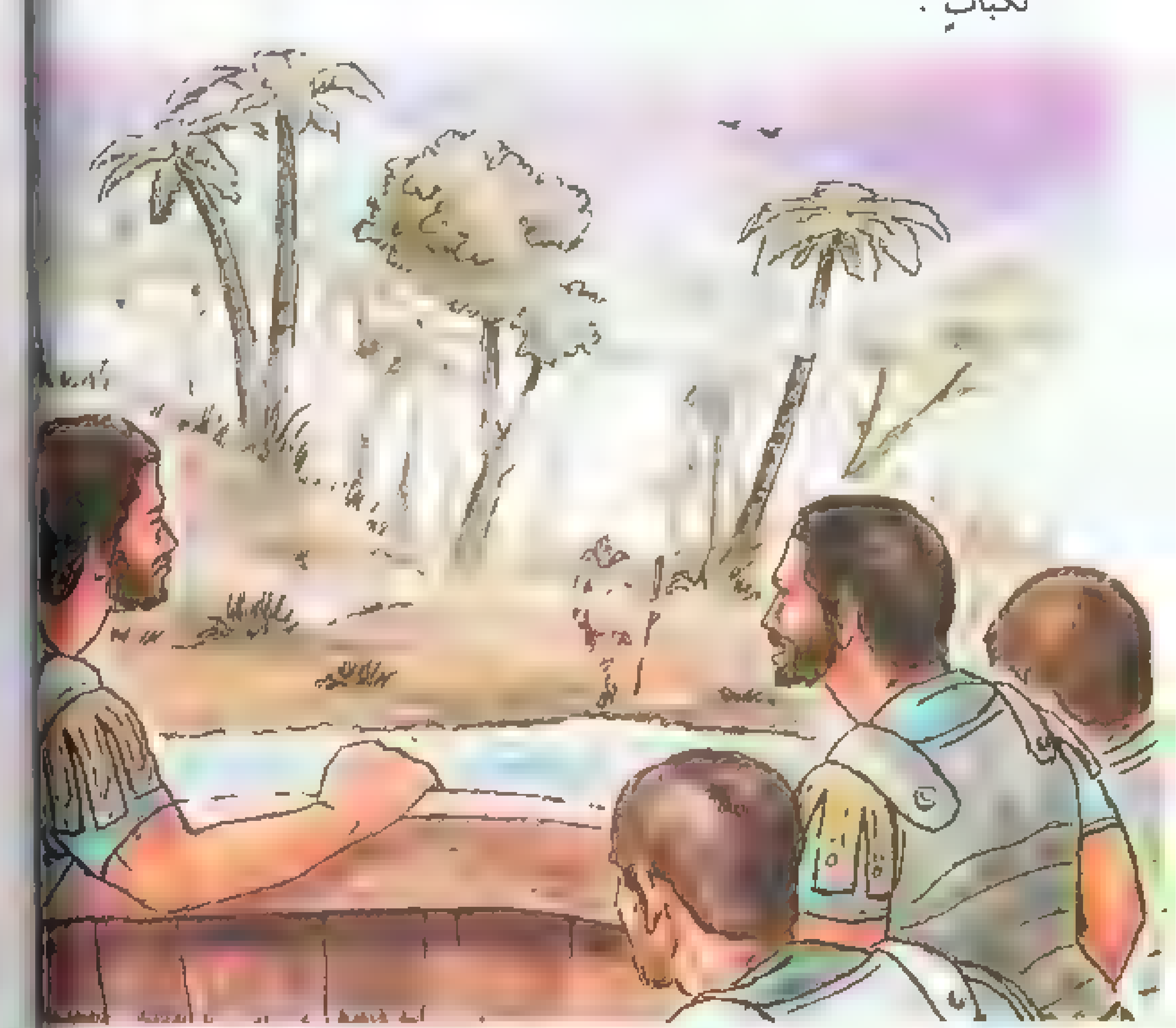
بمفرده، فَآثَرَ أَنْ يَعودَ إِلى السَّفينَةِ، يَصْطَحِبُ مَعَهُ زُمْرَةً مِنْ رِجالِهِ، يَشُدّون أَزْرَهُ، وَيُعينونَهُ عَلى أَمْرِهِ، فَقَدْ يَكونُ لَدى النّارِ قَوْمٌ مِنْ أَكَلَةِ لُحوم البَشَرِ كَأُولَئِكَ العَماليقِ الَّذين صادَفَهُمْ في تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلعونَة.

وحينَ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ شَمْسُ اليَوْمِ الثّاني كانَتِ الفِكْرَةُ قَدِ اختمرتْ في رَأْسِ أوديسْيوس، فَحَزَمَ أَمْرَهُ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ، وَقَسَّمَهُمْ فريقَيْن: يَتَكَوَّنُ كُلٌّ مِنْهُما مِنِ اثْنَيْنِ وَعِشْرينَ رَجُلاً، يَقودُ الفَريقَ الأوَّل رَجُلٌ عالي الهِمَّةِ يُسَمّى «يوريلوخوس»؛ وَيَقودُ أوديسيوس الفريق الثّاني. وَاصْطَنَعوا القُرْعَةَ وَسيلَةً لِتَعْيينِ أَيِّ الفَريقَيْنِ يَبْدَأُ الذَّهابَ إِلى الغابَةِ، يَسْتَجْلي حَقيقَتَها، وَيَتَعَرَّفُ سِرَّها؛ فَوَضَعا في إِحْدى الخُوذاتِ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الخَشَبِ، تَحْمِلُ إِحْداهُما اسمَ «أوديسْيوس»، وَتَحْمِلُ الثّانِيَةُ اسْمَ «يوريلوخوس»، وَهَزّوا الخوذَةَ بِشِدَّةٍ، فَسَقَطَتْ مِنْها الخَشَبَةُ الَّتي تَحْمِلُ اسْمَ «يوريلوخوس»

وهَكَذا كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعى مَعَ فَريقِهِ إِلى الغابَةِ، فَتَقَدَّمَ رِجالَهُ، وَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يَكْتُمَ ما يَمْلأُ قَلْبَهُ مِنَ الخَوْفِ، وَيَسْتَوْلي عَلى نَفْسِهِ مِنَ الجَزَعِ، وَلَوْ خُلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرارِهِ لآثَرَ النُّكوصَ عَنْ هذه المَهَمَّةِ. وَلَكِنَّها شَجاعَةُ الرِّجالِ تُقاسُ بِمِقْدارِ ما يُقْدِمونَ عَلَيْهِ

مِنْ خَطَرٍ ، وَبِمِقْدارِ ما يُحَقِّقونَ مِنْ كَشْفٍ في ارْتِيادِ المَجْهولِ !

وَلَبِثَ الفَريقُ الثّاني بِقِيادَةِ أوديسْيوس في السَّفينَةِ خائِفًا يَتَرَقَّبُ ، حَتّى عادَ إلَيْهِمْ بَعْدَ حينٍ يوريلوخوس ، فَإذا هُمْ يُنْكِرونَ مِنْ شَخْصِهِ أَكْثَرَ مِمّا يَعْرِفونَ . لَقَدْ عادَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ ، مُنْكَسِرَ الخاطِرِ ، مَهْزومَ النَّفْسِ ، حَزينًا باكِيًا لا تَكادُ تَرْقَأُ دُموعُهُ ، يُعْجِزُهُ البُكاءُ وَالنَّشيجُ عَنِ الإفْصاحِ عَمّا نَزَلَ بِهِ وَبِرِجالِهِ مِنْ أَحْداثٍ ، وَما أَلَمَّ بِهِمْ مِنْ نَكَباتٍ .



وَلَمّا أصابَتْ نَفْسُهُ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ ، وَانْسابَ في قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الاطْمِئْنانِ ، أَنْشَأَ يَقُصُّ عَلى القَوْمِ الحِكايَةَ : لَقَدْ واصَلَ هُوَ وَرِجالُهُ مَسيرَهُمْ حَتّى بَلَغوا وَسَطَ الغابَةِ ، فَإذا مَنْزِلٌ أَنيقٌ بَديعٌ يَقومُ فيهِ ، وَإذا أُسودٌ وَذِئابٌ تَمْرَحُ وَتَعْبَثُ أَمامَهُ . وَلكِنَّها أُسودٌ وَذِئابٌ قَدْ بُدِّلَتْ طَبيعَتُها ، فَإذا هِيَ مُسْتَأْنَسَةٌ أَليفَةٌ وَدودٌ كَالكِلابِ ، وَإذا هِيَ تُحيطُ بِرِجالِهِ في وُدٍّ وَأُلْفَةٍ وَهُمْ يَقِفونَ أَمامَ بابِ المَنْزِلِ يَهُمّونَ بِطَرْقِهِ ، فَيَصُدُّهُمْ عَنْ ذلِكَ صَدًا قَوِيًّا ، وَيَرُدُّهُمْ عَنْهُ رَدًّا رَفيقًا - صَوْتُ غِناءٍ عَذْبٍ رَقيقٍ يَنْبَعِثُ مِنْ داخِلِ المَنْزِلِ ، لا تَكادُ تَسْمَعُهُ الأُذُنُ حَتّى تَسْتَجيبَ لَهُ الجَوارِحُ جَميعُها ، وَيَسْتَوْلي عَلى أَقْطارِ النَّفْسِ كُلِّها ، فَتَسْكُنَ بَعْدَ اضْطِرابٍ ، وَلا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِها غَيْرَ الإنْصاتِ في لَذَّةٍ وَاسْتِمْتاعٍ .

وَبَيْنَما الرِّجالُ تَتَشَنَّفُ آذانُهُمْ بِالغِناءِ العَذْبِ الرَّقيقِ فَهُمْ بِهِ مَسْحورونَ ، وَتَتَمَلّى أَبْصارُهُمْ جَمالَ المَنْزِلِ البَديعِ الأَنيقِ فَهُمْ بِهِ مَفْتونونَ ، وَيَرَوْنَ مِنْ حَوْلِهِمُ الأُسودَ وَالذِّئابَ الوَدودَ فَهُمْ مِنْها دَهِشونَ . بَيْنَما هُمْ كَذلِكَ إذا بابُ المَنْزِلِ يُفْتَحُ عَلى مِصْراعَيْهِ ، وَإذا امْرَأَةٌ تَبْرُزُ مِنْهُ ، قَدِ ارْتَدَتْ ثَوْبًا أَبْيَضَ رَشيقًا أَنيقًا ، قَدْ وُشِّيَ بِالذَّهَبِ ، وَرُصِّعَ بِالجَواهِرِ ، فَبَدَتِ المَرْأَةُ فيهِ آيَةً في الفِتْنَةِ وَالرَّوْعَةِ وَالجَمالِ : فِتْنَةٍ تَسْبي العُقولَ ، وَرَوْعَةٍ تَأْخُذُ بِالأَلْبابِ ، وَجَمالٍ

يَسْتَوْلي عَلى النُّفوسِ . وأشارَتْ إلى الرِّجالِ أنْ يَدْخُلوا ، فَلَمْ يَمْلِكوا مِنْ أمْرِهِمْ إلا الإذْعانَ . وَراحَتِ المَرأةُ الفاتِنَةُ وَإماؤُها يَمْزُجْنَ العَصيرَ المُعَتَّقَ بِالعَسَلِ ، وَيُقَدِّمْنَهُ - في دَلٍّ وَجَمالٍ - لِلرِّجالِ ، فَشَرِبوا حَتّى ارْتَوَوْا . وَما كادوا يَفْرَغونَ مِنَ الشَّرابِ حَتّى مَسَّتْهُمُ المَرأةُ الأنيقَةُ الفاتِنَةُ بِعَصاها ، فَإذا هُمْ يُمْسَخونَ خَنازيرَ بَرِّيَّةً. ساقَتْهُمُ المَرأةُ وَإماؤُها إلى خارِجِ المَنْزِلِ ، وَأدْخَلَتْهُمْ إحْدى الحَظائِرِ، ثُمَّ أغْلَقَتْ عَلَيْهِمُ البابَ .

كانَتْ هَذِهِ المَرأةُ الأنيقَةُ الفاتِنَةُ هِيَ « كيركي » السّاحِرَةَ الماهِرَةَ ، الذّائِعَةَ الصِّيتِ ، وَحَدَثَ ذلِكَ كُلُّهُ بَيْنَما كانَ يُوريلُوخُوس يَخْتَبِئُ خَلْفَ النَّوافِذِ ، يُراقِبُ ما يَحْدُثُ وَلا يَسْتَطيعُ أنْ يَصْنَعَ لِرِجالِهِ شَيْئًا ، فَما كانَ مِنْهُ إلا العَوْدَةُ السَّريعَةُ إلى السَّفينَةِ كاسِفَ البالِ ، مَحْزونَ الفُؤادِ .

ثارَتْ بِأوديسْيوس حَمِيَّتُهُ ، وَهَزَّتْهُ نَخْوَتُهُ ، وَغَلى الدَّمُ في عُروقِهِ ، فَعَزَمَ عَلى أنْ يُخَلِّصَ رِجالَهُ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ وَرْطَةٍ ، فَأغْمَدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَنَثَرَ كِنانَتَهُ ؛ لِيَخْتارَ مِنْ بَيْنِ سِهامِها أصْلَبَها عودًا ، وَأشَدَّها مَضاءً ، وَأقْواها نَفاذًا . وَطَلَبَ إلى صاحِبِهِ يُوريلُوخُوس أنْ يَمْضِيَ مَعَهُ ، وَلكِنْ قَعَدَتْ بِهِ هِمَّتُهُ ، وَخَذَلَتْهُ عَزيمَتُهُ ، لِهَوْلِ



ما أصابَهُ مِنَ الرُّعْبِ ، وَشِدَّةِ ما سَيْطَرَ عَلَيْهِ مِنَ الفَزَعِ . فَمَضى « أوديسيوس » وَحْدَهُ ، يَشُقُّ أحْراشَ الغابَةِ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في وَسيلَةٍ يُبْطِلُ بِها مِنَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ سِحْرَها ، وَيَفُكُّ رِجالَهُ مِنْ أسْرِها ، وَيُخَلِّصُهُمْ مِنْ قَبْضَتِها .

وَبَيْنَما هُوَ يَنْدَفِعُ في سَيْرِهِ ، مُسْتَغْرِقًا في تَفْكيرِهِ ، إذا بِشابٍّ وَسيمِ الخِلْقَةِ ، بَهِيِّ الطَّلْعَةِ ، ذي فُتُوَّةٍ وَقُوَّةٍ يَلْتَقيهِ ، وَيَقولُ لَهُ : « إلى أيْنَ أيُّها المَغْرورُ ؟ أتَظُنُّ أنَّ في مُكْنَتِكَ أنْ تُبْطِلَ سِحْرَ السّاحِرَةِ كيركي ، وَتُخَلِّصَ رِجالَكَ مِنْ قَبْضَتِها ؟»

أجابَهُ أوديسيوسُ - في عَزْمٍ وَإصْرارٍ - بِأنَّهُ سَيَبْذُلُ ما وَسِعَهُ مِنَ الجَهْدِ ، وَلَوْ ضَحّى في سَبيلِ ذلِكَ بِنَفْسِهِ .

أكْبَرَ الشّابُّ الفَتِيُّ فيهِ عَزيمَتَهُ الَّتي لا تَعْرِفُ الخَوَرَ ، وَهِمَّتَهُ الَّتي لا يَتَطَرَّقُ إلَيْها الكَلَلُ . وَعِنْدَئِذٍ قَطَفَ زَهْرَةً بَيْضاءَ ناصِعَةً ، وَقَدَّمَها لأوديسْيوس قائِلاً : « احْتَفِظْ بِهَذِهِ الزَّهْرَةِ ، حَتّى إذا ما سَقَتْكَ كيركي مِنْ شَرابِها ، وَهَمَّتْ أنْ تَمَسَّكَ بِعَصاها - أبْرِزْها في الحالِ ، وَقُلْ لَها إنَّ الإلهَ هيرميس هُوَ الَّذي أعْطاها لَكَ ، ثُمَّ اشْهَرْ سَيْفَكَ في وَجْهِها ، وَلا تَتْرُكْها إلا بَعْدَ أنْ تَأْخُذَ عَلَيْها العَهْدَ ألا تُؤْذيكَ بِسِحْرِها .»

واختَفَى هيرميس بَعْدَ ذلِكَ ، أمّا أوديسْيوس فَقَدْ أخَذَ طَريقَهُ إلى ذَلِكَ المَنْزِلِ الأنيقِ البَديعِ في وَسَطِ الغابَةِ ، يُراوِدُهُ أمَلٌ قَوِيٌّ في تَخْليصِ رِجالِهِ مِمّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ كَرْبٍ ، بَعْدَ أنْ أسْدى لَهُ هيرميس النُّصْحَ ، وَدَلَّهُ عَلى الوَسيلَةِ الّتي تُبْطِلُ سِحْرَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ . وَما إنْ بَلَغَ المَنْزِلَ الأنيقَ البَديعَ حَتّى أذِنَتْ لَهُ كيركي بِالدُّخولِ ، وَسَقَتْهُ مِنْ شَرابِها المَعْهودِ ، وَهَمَّتْ أنْ تَمَسَّهُ بِعَصاها السِّحْرِيَّةِ لِتَمْسَخَهُ مِثْلَ رِفاقِهِ السّابِقينَ . وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أنْ تَصِلَ إلَيْهِ عَصاها أظْهَرَ لَها الزَّهْرَةَ البَيْضاءَ النّاصِعَةَ ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ في وَجْهِها ، فَإذا بِها تَخِرُّ ساجِدَةً عِنْدَ قَدَمَيْهِ ، وَهِيَ تَقولُ لَهُ : « لا شَكَّ أنَّكَ أوديسْيوس القادِمُ مِنْ إيثاكي أخْبَرَني هيرميس أنَّكَ سَتَزورُ جَزيرَتي في طَريقِ عَوْدَتِكَ إلى الوَطَنِ قادِماً مِنْ طُرْوادَة . تَعالَ ! فَلْنَكُنْ أصْدِقاءَ ، وَلا خَوْفَ عَلَيْكَ مِنْ سِحْري بَعْدَ اليَوْمِ ! »

وَنادَتْ كيركي خادِماتِها ، وَأمَرَتْهُنَّ أنْ يُحْضِرْنَ شَهِيَّ الطَّعامِ وَلَذيذَ الشَّرابِ إلى الضَّيْفِ النَّبيلِ ، لَكِنَّهُ بَقِيَ ساكِتاً لا يَجِدُ في نَفْسِهِ رَغْبَةً إلى الطَّعامِ ، وَلا مَيْلاً إلى الشَّرابِ ؛ وَإنَّما يَجِدُ فيهِما عُزوفاً عَنْهُما ، وَعِيافاً لَهُما .

سَألَتْهُ كيركي : « لِماذا لا تَطْعَمُ طَعامَنا ، وَلا تَشْرَبُ شَرابَنا ، وَقَدْ آمَنّاكَ مِنْ سِحْرِنا ، وَنَزَلْتَ فينا ضَيْفاً عَزيزاً ، وَصَديقاً نَبيلاً ؟ »





نظَرَ إليْها بِعَيْنَيْنِ تَفيضانِ أسًى وَحُزْنًا ، وَقالَ : « كَيْفَ أسوغُ الطَّعامَ وَالشَّرابَ وَرِجالي خَنازيرُ بَرِّيَّةٌ في الحَظيرَةِ ؟» فَراقَها نُبْلُهُ ، وَأعْظَمَتْ فيهِ ألَمَهُ ، وَمَضَتْ تَخْطِرُ - في تيهٍ وَدَلالٍ - إلى الحَظيرَةِ، فَمَسَّتْ بِعَصاها السِّحْرِيَّةِ تِلْكَ الخَنازيرَ البَرِّيَّةَ ، فَعادوا رِجالاً كَما كانوا مِنْ قَبْلُ .

وَشَدَّ ما كانَتْ فَرْحَتُهُمْ حينَ رَأَوْا أوديسْيوس العَظيمَ أمامَهُمْ ، فَراحوا يَحْمَدونَ لَهُ صَنيعَهُ ، وَيُثْلِجونَ صَدْرَهُ بِجَزيلِ الثَّناءِ عَلَيْهِ ، وَعَظيمِ الإجْلالِ لَهُ .

أمّا زُمَلاؤُهُمْ في السَّفينَةِ فَقَدْ ثَمِلَتْ بِالفَرْحَةِ أجْسادُهُمْ ، وَانْتَشَتْ أرْواحُهُمْ ، فَأخَذوا يَهْتَزّونَ وَيَتَراقَصونَ حينَ أبْصَروا أوديسْيوس العَظيمَ يَهُلُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعيدٍ وَبِصُحْبَتِهِ الرِّجالُ .

وَأخْبَرَ أوديسْيوس الرِّجالَ بِرَغْبَةِ كيركي في اسْتِضافَتِهِمْ ، وَالإقامَةِ مَعَها ما شاءوا الإقامَةَ ، وَلكِنَّ يوريلوخوس خَوَّفَهُمْ مِنَ الاسْتِجابَةِ لِدَعْوَتِها ، وَحَذَّرَهُمْ مَغَبَّةَ الإقامَةِ مَعَها ، فَقَدْ تَمْكُرُ بِهِمْ مَكْرًا سَيِّئًا ، وَتَمْسَخُهُمْ أسودًا وَذِئابًا تَمْرَحُ وَتَعْبَثُ أمامَ ذَلِكَ المَنْزِلِ الأنيقِ البَديعِ . وَلكِنَّهُمْ سَخِروا مِنْ مَخاوِفِهِ ، وَهَزِئوا بِتَحْذيرِهِ ، وَانْطَلَقوا جَميعًا إلى ذَلِكَ المَنْزِلِ الأنيقِ البَديعِ في وَسَطِ الغابَةِ ،



حَيْثُ يَجِدونَ عِنْدَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ المَأْوى المُريحَ ، وَالطَّعامَ الشَّهِيَّ ، وَالشَّرابَ الحُلْوَ اللَّذيذَ . وَأحْسَنَتْ كيركي اسْتِقْبالَهُمْ ، وَأوْلَمَتْ لَهُمْ ، وَعاشوا في كَنَفِها آمِنينَ مُطْمَئِنّينَ عامًا كامِلاً .

وَلكِنَّ الحَنينَ إلى بِلادِهِمْ كانَ يَنْمو في صُدورِهِمْ ، وَالشَّوْقَ إلى زَوْجاتِهِمْ أخَذَ يَجْتاحُ قُلوبَهُمْ ، فَيُنَغِّصُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ إقامَتَهُمُ الآمِنَةَ الوادِعَةَ أيَّما تَنْغيصٍ ؛ فَرَغِبوا إلى كيركي في أنْ تَأْذَنَ لَهُمْ بِمُغادَرَةِ جَزيرَتِها شاكِرينَ لَها حُسْنَ ضِيافَتِها ، غَيْرَ عابِئينَ بِتَحْذيرِها لَهُمْ مِنَ المَخاطِرِ الَّتي تَتَرَصَّدُهُمْ ، وَالأهْوالِ الَّتي تَتَرَبَّصُ بِهِمْ . فَلَمّا رَأَتْ صِدْقَ عَزْمِهِمْ لَمْ تَقِفْ حائِلاً دونَ رَغْبَتِهِمْ ؛ إنَّما انْتَحَتْ جانِبًا بِأوديسْيوس العَظيمِ النَّبيلِ ، وَحَذَّرَتْهُ مِمّا يَنْتَظِرُهُ مِنْ مَشَقّاتٍ ، وَما يَقِفُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ مِنْ عَقَباتٍ ، وَدَلَّتْهُ عَلى سُبُلِ النَّجاةِ إنْ هُوَ وَعى قَوْلَها ، وَاسْتَجابَ لِنُصْحِها .

أصْغى أوديسْيوس لِكُلِّ لَفْظَةٍ نَطَقَتْ بِها شَفَتا كيركي إصْغاءً تامًّا ، وَحَفَرَها في ذاكِرَتِهِ حَفْرًا عَميقًا ، ثُمَّ وَدَّعَها وَداعًا حارًّا ، يَنْضَحُ بِالشُّكْرِ وَالعِرْفانِ ، ثُمَّ أبْحَرَ وَرِجالُهُ مِنْ جَديدٍ عَبْرَ البِحارِ المَجْهولَةِ .

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنْ إبْحارِهِمْ كانَتِ الرّيحُ فيها رُخاءً طَيِّبَةً ، سَكَنَتِ



الرِّيحُ ، وَهَدَأَتِ الأَمْواجُ ، واستَقَرَّ البَحْرُ ، وَراحَ القَوْمُ يَتطَلَّعون إلى الأُفُقِ . وَإذا جَزيرَةٌ جَميلَةٌ تَرْتَفِعُ أمامَ أعْيُنِهِمْ ، وَإذا صَوْتُ غِناءٍ عَذْبٍ شَجِيٍّ يَنْبَعِثُ مِنْها عَبْرَ الأثيرِ ، فَأَدْرَكَ أوديسْيوس أنَّهُنَّ جَماعَةُ السِّيريناتِ ؛ أولئِكَ النِّسْوَةُ الجَميلاتُ الفاتِناتُ ، اللاتي يَسْبينَ قُلوبَ الرِّجالِ بِجَمالِهِنَّ الخَلّابِ ، وَيُسْكِرْنَ عُقولَهُمْ بِغِنائِهِنَّ العَذْبِ الرَّقيقِ ، فَيَجْتَذِبْنَهُمْ إلى جَزيرَتِهِنَّ . وَلَكِنْ ما مِنْ أحَدٍ شَنَّفَ سَمْعَهُ بِغِنائِهِنَّ ، وَسُحِرَ بِجَمالِهِنَّ ، وَاستَجابَ لِنِدائِهِنَّ ، وَرُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ أبَداً ، كَما أخْبَرَتْهُ كيركي .

وَبِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ أخَذَ أوديسْيوس كُتْلَةً مِنْ شَمْعِ العَسَلِ ، قَطَّعَها أجْزاءً ، وَأمَرَ رِجالَهُ أنْ يَضَعوا الشَّمْعَ في آذانِهِمْ ، حَتّى لا يَنْفُذَ إلَيْها غِناءُ السِّيريناتِ العَذْبُ الرَّقيقُ ، وَيَكونوا بِمَنْجاةٍ مِنَ الضَّياعِ في جَزيرَتِهِنَّ . لكِنَّ أوديسْيوس كانَتْ نَفْسُهُ تَهْفو لِسَماعِ غِنائِهِنَّ العَذْبِ الشَّجِيِّ ، وَقَلْبُهُ يَتَحَرَّقُ شَوْقاً لِلطَّرَبِ بِأصْواتِهِنَّ ، فَأَمَرَ رِجالَهُ أنْ يَرْبُطوهُ بِالحِبالِ إلى صاري السَّفينَةِ رَبْطاً مُحْكَماً ، وَألّا يَفُكّوا قُيودَهُ مَهْما أمَرَهُمْ ، أوْ تَوَسَّلَ إلَيْهِمْ . وَفَعَلَ البَحّارَةُ ما طَلَبَ ، ثُمَّ جَذَّفوا بِسَفينَتِهِمْ أمامَ الجَزيرَةِ ، وَانسابَتِ الأصْواتُ الجَميلَةُ الفاتِنَةُ إلى أذُنَيْ أوديسْيوس . وَكانَ يَسْمَعُ غِناءَ السِّيريناتِ الفاتِناتِ وَهُنَّ يُنْشِدْنَ لَهُ : « أُمْكُثْ مَعَنا يا أوديسْيوس ، وَسَنَمْنَحُكَ كُلَّ

المَعْرِفَةِ وَالحِكْمَةِ ، وَسَتُعَلِّمُكَ أشْياءَ كَثيرَةً ما كانَ لَكَ أنْ تَعلَمَها . سَوْفَ تكونُ أحْكَمَ رَجُلٍ عَلى سَطْحِ الأرْضِ .»

وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ تَحْذيرِ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ كيركي لَهُ ، فَإنَّهُ فُتِنَ بِسِحْرِ أصْواتِهِنَّ ، وَخُلِبَ لُبُّهُ بِعَذْبِ غِنائِهِنَّ . وَراحَ يُصارِعُ الحِبالَ الَّتي تُقَيِّدُهُ ، لِكَيْ يَفُكَّ وَثاقَهُ ، وَيَقَعَ فيما حَذَّرَ مِنْهُ رِجالَهُ ، وَلَكِنْ يوريلوخوس أخَذَ يُضاعِفُ مِنْ قُيودِهِ ، وَيَزيدُ وَثاقَهُ إحْكاماً ، وَيَحُثُّ البَحّارَةَ عَلى سُرْعَةِ التَّجْديفِ ، حَتّى مَرَقَتِ السَّفينَةُ مِنْ أمامِ الجَزيرَةِ بِسَلامٍ .

وَلَمّا أصْبَحَ الرِّحالُ بِمَأمَنٍ مِنْ أصْواتِ السّيريناتِ الجَميلاتِ الفاتِناتِ نَزَعوا الشَّمْعَ مِنْ آذانِهِمْ ، وَفَكّوا وَثاقَ أوديسيوس العَظيمِ .



## الفصل الثالث

## الصَّخْرَةُ وَالدُّوّامَةُ

أبْعَدَتِ السَّفينَةُ في البَحْرِ مُخَلِّفَةً وَراءَها جَزيرَةَ السّيريناتِ الجَميلاتِ الفاتِناتِ ، وَإذا هِيَ تَبْلُغُ مَضيقاً كانَ عَلَيْها أنْ تَعْبُرَهُ حَتّى تَصِلَ البَحْرَ الواسِعَ العَريضَ . وَكانَ يَقومُ عَلى جانِبَيْ هَذا المَضيقِ الوَعْرِ صَخْرَتانِ سَوْداوانِ شامِخَتانِ ؛ كانَتِ اليُمْنى مِنْهُما غَيْرَ ذاتِ خَطَرٍ يُذْكَرُ فَيُخْشَى ، وَأمّا اليُسْرى فَكانَتْ تَكْمُنُ تَحْتَها دُوّامَةٌ عَنيفَةٌ فَظيعَةٌ تُسَمّى « خاريبديس » بِوُسْعِها أنْ تَبْتَلِعَ السَّفينَةَ دُفْعَةً واحِدَةً . وَفي أسْفَلِ الطَّرَفِ الأيْمَنِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ كانَ ثَمَّةَ كَهْفٌ تَعيشُ فيهِ أُنْثى وَحْشٍ تُدْعى « سكولا » ، وَكانَتْ مُرَوِّعَةً حَقّاً ؛ تُرَوِّعُ النّاسَ بِبَشاعَةِ خِلْقَتِها كَما تُرَوِّعُهُمْ بِشَناعَةِ فِعْلِها ، فَلَها رُؤوسٌ سِتَّةٌ وَهَذِهِ الرُّؤوسُ لا تَنْتَصِبُ انْتِصاباً قَوِيّاً

فَوْقَ الأعْناقِ ، كَما أَلِفَ النّاسُ فيما يَرَوْنَ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، وَإِنَّما يَتَدلّى كُلُّ رَأْسٍ مِنْ طَرَفِ عُنُقٍ طَويلٍ رَفيعٍ ، كَأَنَّما شُدَّ إِلَيْهِ بِخَيْطٍ دَقيقٍ ، وَفي كُلِّ رَأْسٍ فَمٌ ذو صُفوفٍ ثَلاثَةٍ مِنَ الأَسْنانِ ، لا يُعْيِيها شَيْءٌ ، وَلا يُعْجِزُها قَصْمٌ . وَمِنْ كُلِّ فَمٍ يَبْرُزُ اثْنا عَشَرَ لِساناً ، لِكُلِّ لِسانٍ طَرَفٌ مُدَبَّبٌ يَنْتَهي بِمَخالِبَ حادَّةٍ ، تُمَكِّنُها مِنَ الظَّفَرِ بِفَرائِسِها في يُسْرٍ وَسُهولَةٍ .

ذَلِكَ ما أَخْبَرَتْ بِهِ كيركي السّاحِرَةُ الماهِرَةُ الفاتِنَةُ أوديسْيوس العَصيمَ ، وَحَذَّرَتْهُ إِيّاهُ ، فَإِذا كانَتِ الدَّوّامَةُ تَسْتَطيعُ أَنْ تَبْتَلِعَ السَّفينَةَ فَإِنَّ سْكولا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْتَرِسَ سِتَّةً مِنْ رِجالِهِ . وَلِذا أَمَرَ أوديسْيوس العَظيمُ رِجالَهُ أَنْ يُجَدِّفوا بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ بِالقُرْبِ مِنْ يَمينِ الصَّخْرَةِ ، حَتّى يَمْرُقوا مِنَ المَضيقِ ، وَيَتَفادَوُا الوُقوعَ في شَرَكِ الدَّوّامَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنَبِّئْهُمْ بِأَمْرِ سْكولا الَّتي تَخْتَبِئُ في كَهْفِها أَسْفَلَ يَمينِ الصَّخْرَةِ. وَبَيْنَما كانَ البَحّارَةُ مُنْهَمِكينَ في التَّجْديفِ ، يَبْذُلونَ مِنَ الجَهْدِ ما وَسِعَهُمْ ، وَيَرْقُبونَ الدَّوّامَةَ في قَلَقٍ بالِغٍ وَحَذَرٍ شَديدٍ ، خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ سْكولا مِنْ مَخْبَئِها فَلَقِفَتْ مِنْهُمْ سِتَّةَ رِجالٍ ، فَيَدِبُّ الذُّعْرُ في صُفوفِ الرِّجالِ ، وَتَصيرُ نُفوسُهُمْ فَرَقاً وَرُعْباً ، وَيَتَعالى صُراخُهُمْ يَنْشُدونَ الغَوْثَ ، وَيَطْلُبونَ النَّجْدَةَ . وَلَكِنَّ أوديسْيوس العَظيمَ لا يَمْلِكُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئاً ، وَلا يَسْتَطيعُ لَهُمْ عَوْناً !



عَبَرَتِ السَّفينَةُ المَضيقَ ، وَانطَلَقَتْ إِلى البَحْرِ الواسِعِ العَريضِ ، وَقَدْ تَجَسَّدَ الرُّعْبُ في البَحّارَةِ ، فَزاغَتْ مِنْهُمُ الأَبْصارُ ، وَبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ ، لِفَرْطِ ما لاقَوْا مِنَ الأَهْوالِ ، وَلِفَرْطِ ما كانوا يُعانونَ مِنْ أَلَمِ الحُزْنِ المُمِضِّ عَلى إِخْوانِهِمُ الَّذينَ اخْتَطَفَتْهُمْ سْكولا. وَلِذَلِكَ كانوا في مَسيسِ الحاجَةِ إِلى قِسْطٍ مِنَ الرّاحَةِ ، يَلْتَقِطونَ فيهِ أَنْفاسَهُمْ ، وَيَلُمّونَ شَعَثَهُمْ ، بَعْدَ أَنْ أَنْهَكَهُمُ التَّعَبُ ، وَهَدَّهُمُ الحُزْنُ .

وَشَدَّ ما كانَتْ فَرْحَتُهُمْ بِبَصيصٍ مِنَ الأَمَلِ يَبْرُقُ في نُفوسِهِمُ البائِسَةِ ، عِنْدَما تَناهى إِلى سَمْعِهِمْ صَوْتُ أَبْقارٍ تَرْعى الكَلأَ ، وَتَمْرَحُ في الحُقولِ ، فَتَطَلَّعَتْ أَبْصارُهُمْ نَحْوَ مَصْدَرِ الصَّوْتِ فَإِذا جَزيرَةٌ تَرْتَفِعُ عَلى مَدِّ الأَبْصارِ ، فَتَعالَتْ صَيْحاتُهُمْ بِطَلَبِ الرّاحَةِ في هَذِهِ الجَزيرَةِ . وَلَكِنَّ أوديسْيوس العَظيمَ تَذَكَّرَ تَحْذيرَ كيركي السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ لَهُ مِنْ هَذِهِ الجَزيرَةِ . إِنَّها جَزيرَةُ « ثريناكيا » ، تَعيشُ فَوْقَها أَبْقارُ الشَّمْسِ وَماشِيَتُها المُقَدَّسَةُ ، تَسْرَحُ وَتَمْرَحُ كَما تَشاءُ ، وَلَوْ أَنَّ رِجالَهُ ذَبَحوا مِنْ هَذِهِ الأَبْقارِ وَأَكَلوا لُحومَها لَقَضَوْا جَميعاً !

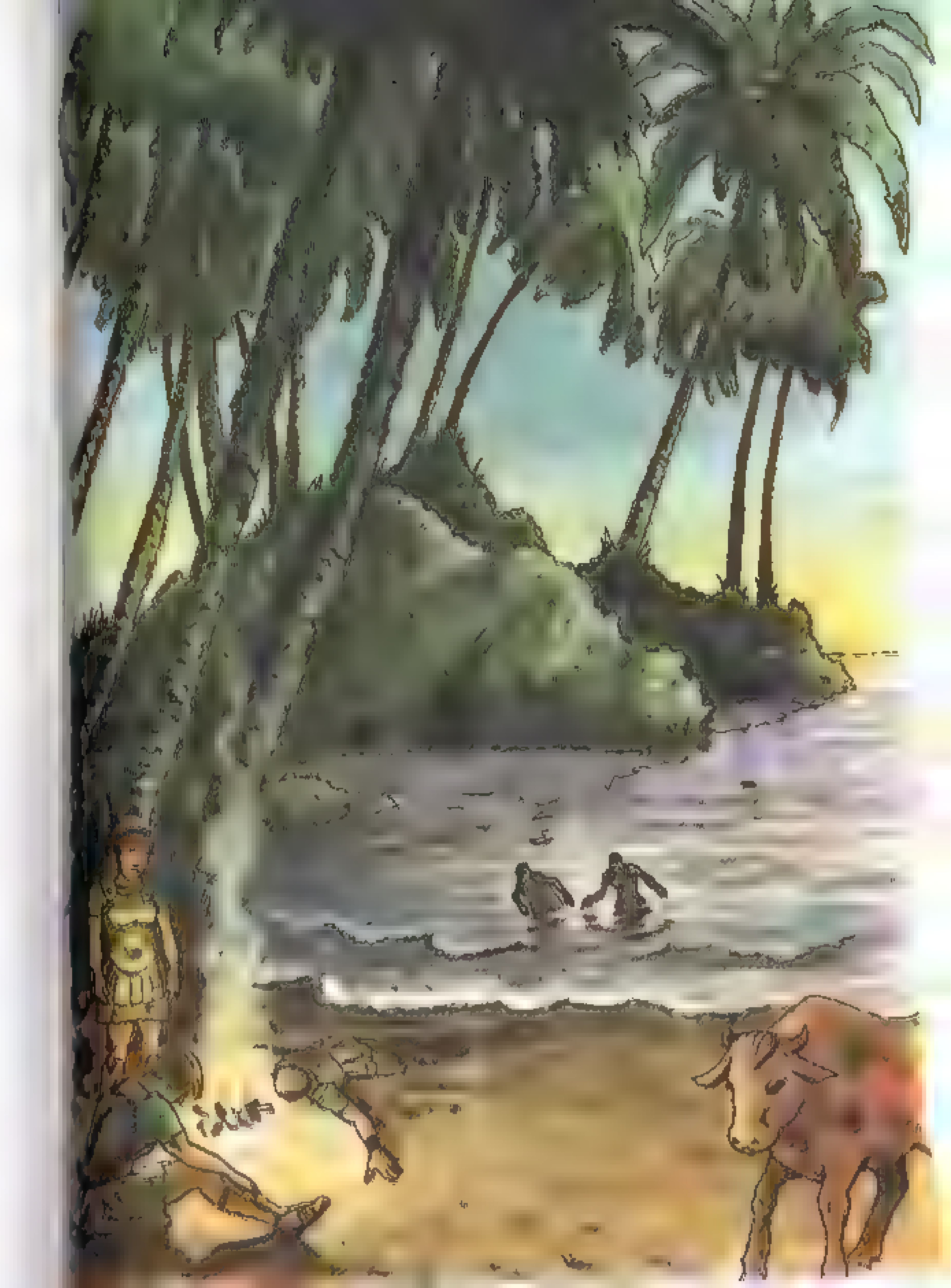
أَعْلَنَ أوديسْيوس العَظيمُ إِلى الرِّجالِ تَحْذيرَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ كيركي ، وَرَغِبَ إِلَيْهِمْ في أَنْ يُجَدِّفوا بَعيداً عَنْ هَذِهِ

الحَرِيرَةِ ، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يُصيخُوا لَهُ سَمْعًا ، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ صاحَ نوريلُوخُوس بِأَنَّ النَّصَبَ قَدْ مَسَّ القَوْمَ مَسًّا عَنيفًا ، وَأَنَّ اللُّغوبَ قَدْ نالَ مِنْهُمْ مَنالاً ، وَلا سَبيلَ لَهُمْ إلى التَّجْديفِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَحْظَوْا بِقِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ أُوديسْيوس العظيمُ مَفَرًّا مِنَ الرُّضوخِ لِرَغْبَتِهِمْ ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدًا أَلا يَمَسُّوا أَبْقارَ الشَّمْسِ المُقَدَّسَةَ وَماشِيَتَها بِأَذًى ، وَأَلا يَقْرَبوا لُحومَها مَهْما كانَ الأَمْرُ ؛ فَأَجابوهُ إلى ما طَلَبَ ، وَأَلْقَوْا مَراسِيَ سَفينَتِهِمْ عَلى الشَّاطِئِ .

وَتَناوَلَ الرِّجالُ عَشاءَهُمْ ، وَأَراحوا فَوْقَ رِمالِ الشَّاطِئِ أَجْسادَهُمُ المُنْهَكَةَ ، وَنُفوسَهُمُ المُرْهَقَةَ ، ثُمَّ راحوا في سُباتٍ عَميقٍ .

وَفي أَثْناءِ اللَّيْلِ هَبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ أَحالَتِ البَحْرَ أَمْواجًا مُتَلاطِمَةً كَالجِبالِ ، مِمَّا جَعَلَ الرِّجالَ يَتَشَبَّثونَ بِمَكانِهِمْ عَلى الشَّاطِئِ وَيَخْشَوْنَ أَشَدَّ الخَشْيَةِ مُجابَهَةَ البَحْرِ الهائِجِ بِسَفينَتِهِمُ الصَّغيرَةِ واستَمَرَّتِ الحالُ عَلى ذَلِكَ شَهْرًا كامِلاً ، نَفِدَ فيهِ مَخْزونُ الطَّعامِ والشَّرابِ الَّذي كانَ مُدَّخَرًا في السَّفينَةِ ، وَأَصْبَحَ الرِّجالُ يُقاسونَ لَذْعَ الجوعِ وَحَرارَةَ الظَّمأ ، فَلَمْ يَجِدوا أَمامَهُمْ سِوى أَبْقارِ الشَّمْسِ وماشِيَتِها المُقَدَّسَةِ ، الَّتي زَيَّنَ لَهُمْ يوريلُوخُوس ذَبْحَ بَعْضِها اتِّقاءَ







لِلْجوعِ الَّذي كادَ يَقْضي عَلَيْهِمْ ، وَإِنقاذاً لِحَياتِهِمْ . وَإِذا بِهِمْ تَحْتَ ضَغْطِ الجوعِ وَتَزْيينِ يُوريلُوخُوس يَنْقُضونَ العَهْدَ وَالميثاقَ الَّذي كانَ أوديسيْوس العَظيمُ قَدْ أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْبَحونَ بَعْضَ الماشِيَةِ المُقَدَّسَةِ ، وَيَنْعَمونَ بِأَكْلِ شِوائِها ، وَيَجِدونَ في ذلِكَ لَذَّةً وَمُتْعَةً .

وَبَيْنَما كانَ الرِّجالُ يَسْعَدونَ بِهذِهِ الوَليمَةِ المَشْئومَةِ كانَ أوديسيْوس العَظيمُ قَدْ تَسَلَّقَ تَلّاً مِنَ التِّلالِ المُجاوِرَةِ ، وَراحَ يُصَلّي في ضَراعَةٍ وَتَوَسُّلٍ لِلآلِهَةِ ، رَجاءَ أَنْ تُنْقِذَهُمْ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ بَلاءٍ ، وَتُخَلِّصَهُمْ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ مِحْنَةٍ ، ثُمَّ افْتَرَشَ حَصَى كَهْفٍ في التَّلِّ وَنامَ . وَلَمّا أَشْرَقَ الصَّباحُ سَعى عائِداً إِلى السَّفينَةِ ، فَزَكَمَتْ أَنْفَهُ رائِحَةُ الشِّواءِ ؛ فَأَدْرَكَ شَناعَةَ الجَريمَةِ الَّتي ارتَكَبَها الرِّجالُ ، وَتَجَلَّدَ يُقاوِمُ عَضَّ الجوعِ ، وَمَرارَةَ الحِرْمانِ ، وَلَمْ يَذُقِ الطَّعامَ المَشْئومَ الَّذي ظَلَّ رِجالُهُ يَطْعَمونَ مِنْهُ سِتَّةَ أَيّامٍ كامِلَةٍ .

وَحينَ هَدَأَتِ الرّيحُ ، وَاسْتَقَرَّ هِياجُ البَحْرِ بَعْدَ ذلِكَ – رَكِبَ الرِّجالُ سَفينَتَهُمْ وَأَبْحَروا في طَريقِ عَوْدَتِهِمْ إِلى بِلادِهِمْ ، لكِنَّ جَريمَتَهُمُ الشَّنْعاءَ أَخَذَتْ تُلاحِقُهُمْ ؛ فَبَيْنَما هُمْ في عُرْضِ البَحْرِ الواسِعِ الزّاخِرِ هَبَّتْ عَلَيْهِمْ ريحٌ عاصِفَةٌ ، وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ ، وَأَحاطَ بِهِمْ ، فَتَحَطَّمَتْ سَفينَتُهُمْ وَغَرِقوا جَميعاً ، ما عدا

أوديسْيوس العَظيمَ ، الّذي نَجَحَ في رَبْطِ نَفْسِهِ بِصاري السَّفينَةِ المُهشَّمِ رَبْطاً مُحكَماً حتّى غَدا هُوَ والصّاري المُهشَّمُ قِطْعَةً واحِدَةً .

وَظَلَّ أوديسْيوس العَظيمُ يُغالِبُ الأمْواجَ ، وَالأمْواجُ تُغالِبُهُ ، يُجدِّفُ بِيَدَيْهِ ما وَسِعَهُ الجَهْدُ حيناً ، وَيَتْرُكُ نَفْسَهُ لِحَرَكَةِ المِياهِ تَدْفَعُهُ حيناً آخَرَ ، حَتّى ألْقَتْ بِهِ الأمْواجُ بَعْدَ لأيٍ عَلى شاطِئٍ رَمْليٍّ لإحْدى الجُزُرِ . في هَذِهِ الجَزيرَةِ كانَتْ تَعيشُ حوريَّةٌ جَميلَةٌ فاتِنَةٌ تُدْعى كاليبسو ، وَقَدْ عَثَرَتْ عَلى أوديسْيوس العَظيمِ فَوْقَ رِمالِ الشّاطِئِ ، وَقَدْ نالَ مِنْهُ الإعْياءُ مَنالاً أفْقَدَهُ وَعْيَهُ ، فَعُنِيَتْ بِهِ ، حَتّى أفاقَ ، وَقامَتْ عَلى رِعايَتِهِ حَتّى استَرَدَّ قُوَّتَهُ . وَفي خِلالِ ذَلِكَ كانَ قَدْ شَغَفَها حُبّاً ، فَاحتَفَظَتْ بِهِ إلى جِوارِها سَبْعَ سَنَواتٍ كامِلَةٍ ، ما نَغَّصَ عَلَيْهِ سَعادَتَهُ فيها إلا هَذا الحَنينُ الّذي يَتَنامى في صَدْرِهِ إلى وَطَنِهِ ، وَهَذا الشَّوْقُ العارِمُ الّذي يَستَبِدُّ بِهِ إلى زَوْجَتِهِ ! لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ الوَسيلَةَ الّتي يَستَجيبُ بِها لِهَذا الحَنينِ ، وَيُطْفِئُ بِها غُلَّةَ هَذا الشَّوْقِ ، وَأكْبَرُ الظَّنِّ أنَّهُ ما كانَ مُسْتَطيعاً – حَتّى لَوْ تَيَسَّرَتْ لَهُ الوَسيلَةُ – أنْ يُبارِحَ هَذِهِ الجَزيرَةَ ؛ فَقَدْ بَسَطَتْ عَلَيْهِ كاليبسو رُواقَ حُبِّها ، وَسُلْطانَ حَنانِها ، فَما يَستَطيعُ التَّمَرُّدَ عَلَيْهِ ، وَلا الإفْلاتَ مِنْهُ !

وَلَكِنَّ الآلِهَةَ كانَتْ إلى جِوارِهِ ، تَتَعَهَّدُهُ بِعِنايَتِها ، وَتَحوطُهُ



بِرِعايَتِها ، وَتُشْفِقُ عَلَيْهِ ، وَتَرْثي لَهُ ؛ فَأرْسَلَتِ الإلهَ هيرميس إلى الحوريَّةِ الجَميلَةِ الفاتِنَةِ كاليبسو ، الّتي سَرْعانَ ما تَعَرَّفَتْ عَلى الإلهِ الخالِدِ ، لأنَّها تُشارِكُهُ الخُلودَ ، وَقَدَّرَتْ أنَّ وَراءَ زِيارَتِهِ لَها أمْراً ذا بالٍ . وَأقامَتْ لَهُ مَأدُبَةً عامِرَةً بِطَعامِ الآلِهَةِ « الأمبروسْيا » وَشَرابِها « النِّكْتار » ، ثُمَّ سَألَتْهُ كاليبسو بَعْدَ أنْ طَعِمَ وَانتَعَشَ مِنَ الشَّرابِ عَنْ سِرِّ حُضورِهِ، فَقالَ لَها :

« أرْسَلَني إلَيْكِ الإلهُ ريوس لأبَلِّغَكِ أنَّ عِنْدَكِ شَخْصاً يَجْتاحُهُ حَنينٌ شَديدٌ إلى وَطَنِهِ ، وَشَوْقٌ عارِمٌ إلى زَوْجِهِ . إنَّهُ واحِدٌ مِنْ شُجْعانِ الإغْريقِ الّذينَ أبْلَوْا بَلاءً حَسَناً في حَرْبِ طَرْوادَة طَوالَ عَشْرِ سِنينَ ، حَتّى تَمَكَّنوا مِنْ دَحْرِها وَالاسْتيلاءِ عَلَيْها . وَإذا كانَ قَدْ أساءَ هُوَ وَرِجالُهُ إلى الآلِهَةِ وَهُمْ في طَريقِ عَوْدَتِهِمْ إلى بِلادِهِمْ ، فَإنَّ الآلِهَةَ قَدْ أنْزَلَتْ بِهِمْ مِنَ العِقابِ ما يَسْتَحِقّونَ ، وَإنَّ عَلَيْكِ الآنَ أنْ تَتْرُكي أوديسْيوس يَرْحَلُ عائِداً إلى وَطَنِهِ ، فَإنَّ الآلِهَةَ لا تَوَدُّ لَهُ أنْ يَقْضِيَ نَحْبَهُ في بِلادٍ غَريبَةٍ .»

انْقَبَضَ قَلْبُ كاليبسو وَاعْتَصَرَهُ الحُزْنُ ؛ إذْ كَيْفَ تَأذَنُ لأوديسْيوس العَظيمِ في أنْ يَمْضِيَ إلى بِلادِهِ مُفارِقاً لَها وَهُوَ روحُ حَياتِها ، وَرَيْحانَةُ قَلْبِها ! لَكِنْ لا بُدَّ مِنْ طاعَةِ الآلِهَةِ ، وَالإذْعانِ لأمْرِها ، وَمِنْ ثَمَّ راحَتْ تَبْحَثُ عَنِ الرَّجُلِ البَئيسِ التَّعيسِ ، فَإذا بِها

تَجِدُهُ جالِساً عَلى صَخْرَةٍ فَوْقَ شاطِئِ البَحْرِ ، يَكادُ يَذوبُ وَجْداً ، وَيَحْتَرِقُ شَوْقاً ، يُرْسِلُ نَظَراتٍ حَزينَةً والِهَةً إلى بُعْدٍ حَيْثُ تَكونُ بِلادُهُ وَزَوْجُهُ ، فَقالَتْ لَهُ :

« أيْ أوديسْيوس العَظيمُ ؛ فَلْتَنْسَ هُمومَكَ ، وَلْتَطْوِحْ الآمَكَ ، فَقَدْ حَنَتْ عَلَيْكَ الآلِهَةُ ، وَرَقَّتْ لَكَ قُلوبُها ، وَأَمَرَتْ أنْ تَعودَ إلى وَطَنِكَ وَزَوْجِكَ ، وَلا سَبيلَ لي سِوى طاعَةِ أمْرِها . قُمْ واصْنَعْ لِنَفْسِكَ مَرْكَباً ، وَسَأُعْطيكَ مِنَ الزّادِ ما يَكْفيكَ ، وَسَأُعينُكَ بِرِياحٍ مُعْتَدِلَةٍ ، حَتّى تَبْلُغَ وَطَنَكَ آمِناً سالِماً . »

غَمَرَتِ الفَرْحَةُ قَلْبَ أوديسْيوس العَظيمِ ، وَفاضَ البِشْرُ عَلى وَجْهِهِ ، وَتَلاحَقَتْ كَلِماتُ الشُّكْرِ عَلى لِسانِهِ ؛ فَقَدْ وَقَعَ ما كانَ يَظُنُّهُ بَعيداً .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي أعَدَّتْ لَهُ كاليبسو أدَواتِ النِّجارَةِ ، وَسَعى هُوَ يَحْتَطِبُ الأشْجارَ ، وَطَفِقَ يَصْنَعُ لِنَفْسِهِ فُلْكاً . لَقَدْ أرادَها فُلْكاً مَتينَةً قَوِيَّةً ، ذاتَ صارٍ وَأشْرِعَةٍ ، تَقْوى عَلى شَقِّ عُبابِ البَحْرِ ، وَمُلاطَمَةِ أمْواجِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ كانَ يَعْمَلُ بِهِمَّةٍ لا تَكِلُّ ، وَعَزيمَةٍ لا تَلينُ ، حَتّى فَرَغَ مِنْ صُنْعِها في أيّامٍ خَمْسَةٍ .

وَكانَتْ كاليبسو تَرْقُبُ صَنيعَهُ ، وَتُقَدِّرُ عالِيَ هِمَّتِهِ ، عَلى الرَّغْمِ



مِمّا سَتُكابِدُهُ مِنْ ألَمِ الفِراقِ ، وَتُقاسيهِ مِنْ هَوْلِ البِعادِ ! وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أعَدَّتْ لَهُ مِنَ الطَّعامِ الشَّهِيِّ وَالشَّرابِ اللَّذيذِ ما يَكْفيهِ ، وَأهْدَتْهُ هَدايا ثَمينَةً جَميلَةً ، تَسُرُّ الخاطِرَ ، وَتُبْهِجُ الفُؤادَ .

ثُمَّ حانَتْ لَحْظَةُ الوَداعِ ، وَما أشَدَّ لَحْظَةَ الوَداعِ عَلى المُحِبّينَ !

مَضى أوديسْيوس العَظيمُ يَمْخُرُ عُبابَ البَحْرِ بِفُلْكِهِ ، يَرْقُصُ طائِرُ الفَرَحِ في قَلْبِهِ ، وَيُزَغْرِدُ الشَّوْقُ في صَدْرِهِ ، أمَلاً في العَوْدَةِ إلى أرْضِهِ ، عَلى حينِ لَبِثَتْ كاليبسو عَلى شاطِئِ جَزيرَتِها ساكِنَةً مُتَألِّمَةً تَجْتَرُّ ذِكْرَياتِ سَبْعِ سِنينَ ، تَذَوَّقَتْ فيها مِنَ السَّعادَةِ ألْواناً ، وَمِنَ الهَناءَةِ صُنوفاً . وَكانَ في وُسْعِ أوديسْيوس العَظيمِ النَّبيلِ أنْ يَسْتَديمَها ، لَوْلا أنَّهُ آثَرَ أنْ يَعيشَ وَيَموتَ عَلى تُرابِ وَطَنِهِ ، وَفي أحْضانِ زَوْجِهِ « بينيلوبي » .

## الفصل الرابع

## العودة إلى الوطن

بارَحَ أوديسْيوس العَظيمُ النَّبيلُ جَزيرَةَ كاليبسو الحوريَّةِ الجَميلَةِ الفاتِنَةِ ، وَظَلَّ سَبْعَةَ عشَرَ يَوْمًا يَجوبُ البِحارَ تَسوقُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ نَحْوَ إيثاكي سَوْقًا رَفيقًا ، يَحْدوهُ أَمَلٌ قَوِيٌّ في الوُصولِ إلى وَطَنِهِ ، وَالالتِقاءِ بِزَوْجِهِ وَ وَلَدِهِ . وَفي اللَّيْلَةِ الأَخيرَةِ أَحَسَّ باحتِكاكِ سَفينَتِهِ باليابِسَةِ . ولما كانَ مُنْهَكًا مِنْ طولِ الرِّحْلَةِ ، فَقَدْ أَلْقى بِجِسْمِهِ المُنْهَكِ عَلى رِمالِ الشّاطِئِ وَراحَ يَغِطُّ في نَوْمٍ عَميقٍ .

وَحينَ مَسَّهُ ضَوْءُ النَّهارِ استَيْقَظَ مَوْفورَ القُوَّةِ والنَّشاطِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُمَيِّزَ شَيْئًا مِنْ مَعالِمِ المَكانِ الَّذي رَسا فيهِ ، فَيَعْرِفُ أَنَّهُ على أَرْضِ بِلادِهِ جَزيرَةِ إيثاكي ؛ فَقَدْ رَأى غَمامَةً داكِنَةً تُغَطّي الجَوَّ ، وَتُخْفي البَرَّ ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ في مَكانٍ غَريبٍ عَنْ وَطَنِهِ . وَخُيِّلَ إلَيْهِ





أَنَّ آلامَهُ وأَحْزانَهُ ما زالَتْ تَتَجَدَّدُ وَتَتَمَدَّدُ ، وَراحَ يَمْشي جيئَةً وَذَهابًا فَوْقَ رِمالِ الشّاطِئِ كاسِفَ البالِ ، مَحْزونَ الفُؤادِ . وَفَجْأَةً وَجَدَ أَمامَهُ شابًّا ، كَأَنَّما نَجَمَ لَهُ مِنَ الأَرْضِ كَما يَنْجُمُ النَّباتُ ، أَوْ هَبَطَ عَلَيْهِ مِنَ السَّماءِ كَما تَهْبِطُ الآلِهَةُ . كانَ شابًّا فَتِيًّا ، وَسيمَ المَلامِحِ ، حُلْوَ التَّقاطيعِ ، يُلاعِبُ رُمْحًا في يَدِهِ ، وَتَبْدو عَلَيْهِ سيماءُ المَهابَةِ وَالجَلالِ . وَسَأَلَهُ أوديسْيوس عَنِ المَكانِ الَّذي هُوَ فيهِ ، فَقالَ لَهُ الشّابُّ :

« يَبْدو أَيُّها الغَريبُ أَنَّكَ قادِمٌ مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ . هَذِهِ جَزيرَةُ إيثاكي .»

سُرَّ أُودِيسْيُوس العَظِيمُ النَّبِيلُ بِجَوابِ الفَتى أَيَّما سُرورٍ ، فَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُ الآنَ فَوْقَ تُرابِ وَطَنِهِ ، لَكِنَّهُ أَخْفى سُرورَهُ بَيْنَ جَوانِحِهِ ، وَلَمْ يَبْدُ عَلى وَجْهِهِ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلَمْ يَكْشِفْ لِلشّابِّ عَنْ هُوِيَّتِهِ ، فَقَدْ كانَ يُساوِرُهُ الشَّكُّ في شَبابِ إِيثاكي ، وَكَيْفِيَّةِ اسْتِقْبالِهِمْ لَهُ بَعْدَ هذا الغِيابِ الطَّويلِ . وَلِذَلِكَ تَظاهَرَ لِلْفَتى بِأَنَّهُ رَجُلٌ كِريتِيٌّ ، قادِمٌ مِنْ جَزيرَةِ كِريت في سَفينَةٍ فينيقِيَّةٍ ، وَقَدْ وَعَدَهُ الفينيقِيّونَ أَنْ يَحْمِلوهُ في سَفينَتِهِمْ إِلى بيلوس . بَيْدَ أَنَّ الرِّياحَ دَفَعَتْهُمْ بَعيداً عَنْ طَريقِهِمْ ، فَأَلْقَوْا مَراسِيَهُمْ عَلى الشّاطِئِ وَلَفَّهُمُ النَّوْمُ بِرِدائِهِ ، وَحينَما صَحا مِنْ نَوْمِهِ وَجَدَ القَوْمَ قَدْ أَبْحَروا وَتَرَكوهُ نائِماً .

ضَحِكَ الفَتى الوَسيمُ ضَحِكاً شَديداً مِنْ حَديثِ أُودِيسْيُوس ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « إِنَّ لَكَ يا أُودِيسْيُوس لِساناً ذَرِباً ، وَذَكاءً خارِقاً ؛ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَعْرِفْني ! أَنا الرَّبَّةُ أَثينة الَّتي أَعانَتْكَ في طُرْوادَةَ ، وَهأَنذا أَسْعى إِلَيْكَ لِأُحَذِّرَكَ مِنْ أَعْدائِكَ الكَثيرينَ الَّذينَ يَتَرَبَّصونَ بِكَ الدَّوائِرَ في إِيثاكي ، فَلا تَكْشِفْ عَنْ هُوِيَّتِكَ لِأَحَدٍ .»

قالَ أُودِيسْيُوس : « لَكِنَّكِ أَيَّتُها الرَّبَّةُ العَظيمَةُ لَمْ تُقَدِّمي لي شَيْئاً مِنَ العَوْنِ ، وَأَنا أُقاسي الأَهْوالَ فى البِحارِ وَأَراكِ الآنَ تَسْخَرينَ مِنّي !! أَحَقّاً هَذِهِ هِيَ بِلادي ؟»



قالَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أَثينة : « لَمْ يَكُنْ في وُسْعي أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ عَوْناً ما في البَحْرِ ، فَلَمْ أَكُنْ أَوَدُّ أَنْ أَدْخُلَ في صِراعٍ مَعَ شَقيقي بوسيدون إِلهِ البَحْرِ ، وَقَدْ كانَ غاضِباً مِنْكَ ، ضائِقاً بِكَ ، بَعْدَ أَنْ سَلَبْتَ ابْنَهُ العِمْلاقَ عَيْنَهُ . تَعالَ لِأُرِيَكَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ إِيثاكي .» ثُمَّ بَدَّدَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ الغَمامَةَ الدَّكْناءَ الَّتي كانَتْ تُغَطّي الجَوَّ ، وَتُخْفي السِّرَّ ، فَبَدَتْ إِيثاكي واضِحَةَ المَعالِمِ ، فَاسْتَقَرَّ خاطِرُهُ ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ . ثُمَّ شَرَحَتْ لَهُ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أَثينة كَيْفِيَّةَ التَّغَلُّبِ عَلى خُصومِهِ وَالقَضاءِ عَلى أَعْدائِهِ ، حَتّى وَلَوِ اضْطُرَّ إِلى أَنْ يَلْقاهُمْ مُنْفَرِداً .

وَبِإِشارَةٍ مِنْ يَدِها حَوَّلَتْهُ إِلى حالٍ غَيْرِ حالِهِ ، فَإِذا هُوَ شَيْخٌ عَجوزٌ ، يَرْتَدي أَسْمالاً بالِيَةً ، قَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ ، وَأَشْقاهُ العَوَزُ وَالحِرْمانُ . إِنَّهُ شَحّاذٌ يَسْتَدِرُّ العَطْفَ ، وَيُثيرُ الإِشْفاقَ !

وَقالَتْ لَهُ : « عَلَيْكَ الآنَ أَنْ تَذْهَبَ إِلى كوخِ « يومايوس » الرّاعي ، وَسَتَعْرِفُ مِنْهُ أَنْباءً كَثيرَةً عَنْ بَلَدِكَ وَزَوْجِكَ ، كَما سَتَعْرِفُ السِّرَّ الَّذي يَكْمُنُ وَراءَ إِخْفاءِ هُوِيَّتِكَ . وَلْتَبْقَ عِنْدَهُ حَتّى يَعودَ وَلَدُكَ « تيليماخوس » الَّذي يَزورُ « هيليني » وَ « مينيلاوس » في إِسْبَرطَة الآنَ ، وَسَآمُرُهُ بِالعَوْدَةِ إِلَيْكَ مُسْرِعاً .

وَفي الحالِ تَسلَّقَ أوديسيوس العَظيمُ التِّلال المُؤدِّيَة إلى الحَقْل الَّذي يَرْعى فيه يومايوس قُطعانَهُ . وَبجوارِ الحَظيرَة وجَد الرّاعِيَ يَجْلِسُ وحيداً أمامَ كوخِهِ البَسيطِ في سُكونٍ وإطْراقٍ . تُرى ما الأفْكارُ الَّتي كانَتْ تدورُ برأسِهِ ، وَما الأحْلامُ الَّتي كانَتْ تُداعِبُ خَيالَهُ ؟

لَقَدْ كانَ يومايوس رَجُلاً بَسيطاً مُخْلِصاً لِلْمَلِكِ العَجوز « لايرتيس » وَعائِلَتِهِ ، شَديدَ الوَلاءِ لَهُ ، وَالإيمان بِه . ولَعَلَّ ما كانَ يَراهُ في القَصْرِ المَلَكِيِّ مَعَ شُعورِهِ بِالعَجْزِ والإحْباطِ هُوَ الَّذي كانَ يُقْلِقُ بالَهُ ، ويُرْهِقُ ذِهْنَهُ ! وَلكِنَّهُ يَرْفَعُ رَأسَهُ المُطْرِقَةَ فَيرى شَحّاذاً تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ ، وَمَسَّهُ الضُّرُّ ، يَقِفُ أمامَهُ ، فَيَهَشُّ في وَجْهِهِ ، وَيُقَدِّمُ لَهُ مِن الطَّعامِ وَالشَّرابِ ما يَسُدُّ جوعَهُ ، ويَرْوي عَطَشَهُ . وَمَعَ أنَّهُ لَمْ يَسْتَطِع التَّعَرُّفَ عَلى شَخْصِيَّتِهِ إلا أنَّهُ وَجَدَ راحَةً وَتَسْرِيَةً في أنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ الكَثيرَ مِنْ أنْباءِ القَصْرِ ، وَزَوْجِهِ پينيلوپي وَابنِهِما تيليماخوس الَّذي كانَ طِفْلاً صَغيراً يَوْمَ سافَرَ أبوهُ أوديسيوس إلى طُرْوادَة . وَلَكِنَّهُ اليَوْمَ غَدا شابًّا فَتِيًّا يُناهِزُ العِشْرين مِنْ عُمْرِهِ

وَكانَ مِمّا أخْبَرَهُ بِهِ – دونَ أنْ يَعْرِفَ شَخْصَهُ – أنَّ پينيلوپي زَوْجَةَ أوديسيوس تَعيسَةٌ أقْصى ما تَكونُ التَّعاسَةُ ؛ فَقَدْ طالَتْ غَيْبَةُ زَوْجِها البَطَلِ العَظيمِ ، وانْقَطَعَتْ أخْبارُهُ ، حَتّى ظَنَّ الكَثيرونَ أنَّهُ قَدْ





ماتَ ونما الظّنُّ فأضْحى يقيناً بطولِ الزّمنِ ، ونظرتْ بينيلوبي حولَها فإذا ابنُها صبيٌّ صغيرٌ ، وإذا لايرتيس والدُ زوْجِها قدْ تقدّمتْ بهِ السّنُّ وأصبحَ عاجزاً عنْ إدارةِ دفّةِ البلادِ بحكْمةٍ ورشادٍ . وإذا البلادُ تكادُ تخلو منْ ملِكٍ ، وإذا الطّامعونَ في الزّواجِ بها وفي الملْكِ يتقاطرونَ ويتكاثرونَ منْ شبابِ إيثاكي الّذينَ شبّوا أثناءَ حرْبِ طرْوادةَ ، وإذا بعضُهمْ تبلغُ بهِ الصّفاقةُ وسوءُ الأدبِ أنْ يُقيمَ في القصْرِ ، يأكلُ طعامَ بينيلوبي ويشْربُ شرابَها ويُصرُّ هؤلاءِ الّذين قدْ تبلغُ عِدّتُهمْ اثني عشرَ رجلاً ألا يرْجعوا عنْ فعْلِهمْ حتّى تختارَ بينيلوبي منْ بيْنِهمْ زوْجاً يصيرُ على إيثاكي ملِكاً ، متجاهلينَ في صلَفٍ وغرورٍ – أنَّ تيليماخوس هوَ الأميرُ الشّرْعيُّ للْبلادِ ، وأنَّ سِنّهُ اليوْمَ تؤهّلُهُ لتولّي الأمورِ . ولكنّهمْ كانوا – لفرْطِ صلَفِهمْ وتوحُّشِهمْ – يُعاملونَهُ بقسْوةٍ وفي خشونةٍ ، وقدْ يبْلغُ بهمْ سوءُ الأدبِ أنْ يُهينوهُ ، ويُحاولوا إذْلالَ كبْريائِهِ .

وحينَ لمْ تجدِ الزّوْجةُ الوفيّةُ مناصاً منَ التّعامُلِ معَ هؤلاءِ الشّبابِ ، رأتْ أنَّ الحيلةَ قدْ تكونُ أحدى الوسائلِ في مُعاملتِهمْ ، فأعْلنتْ إليْهمْ أنّها قرّرتْ أنْ تختارَ منْ بيْنِهمْ زوْجاً يصيرُ ملِكاً متى فرغتْ منْ نسْجِ هذا الرّداءِ الّذي تعْملُ فيهِ . وانطلتِ الحيلةُ عليْهمْ ، فكانتْ تعْكفُ النّهارَ كُلّهُ على النّسْجِ بهمّةٍ ونشاطٍ ،



حتّى إذا ما جنَّ اللّيْلُ ، وانصرفَ الشّبابُ منَ القصْرِ ، نقضتْ نسْجَها ، وراحتْ في الصّباحِ الجديدِ تُعاودُ العملَ . ولكنَّ هؤلاءِ الشّبابَ نفِدَ صبْرُهُمْ لطولِ ما نسجتْ ونقضتْ ، وهُمْ لا يدْرونَ . وأبْدى يومايوس تخوّفَهُ مِنْ أنْ يدْفعَهُمْ فقْدانُ الأمَلِ إلى استخْدامِ القوّةِ ؛ لكيْ تختارَ بينيلوبي زوْجاً مِنْ بيْنِهِمْ يصيرُ ملِكاً .

أثارتْ هذهِ الأنْباءُ أوديسْيوس إثارةً بالغةً ، وأزْعجتْهُ بشدّةٍ ؛ إذْ هيَ تُسْفرُ عنْ حقيقةٍ بشعةٍ ، منْ شأنِها أنْ تؤذيَ الضّمائرَ الأبيّةَ ، والقلوبَ الذّكيّةَ ، هيَ : عدمُ ولاءِ شبابِ إيثاكي لمليكِهِمْ ومُناصبتُهُمْ إيّاهُ العداءَ ، واجتراؤُهُمْ على حُرْمةِ قصْرِهِ وزوْجِهِ وولَدِهِ . ولمْ يستطعْ أنْ يحْبِسَ دموعاً حرّى ، ترقْرقتْ في عيْنيْهِ ثُمَّ انسابتْ في هدوءٍ على خدّيْهِ ، الأمْرُ الّذي أدْهشَ الرّاعيَ الأمينَ ، فأخذَ يُمْطرُهُ بوابلٍ منَ الأسئلةِ اللاهفةِ عنْ شخْصِهِ واسْمِهِ ، وماذا يكونُ عِنْدَهُ منْ أنْباءٍ عنْ مليكِهِمُ الغائبِ .

وأخْبرَهُ أوديسْيوس أنَّ مليكَهُمْ سرْعانَ ما سيعودُ ، أمّا عنْ نفْسِهِ فهُوَ رجُلٌ كريتيٌّ قاتلَ في حرْبِ طرْوادةَ ، وتعاورتْ عليْهِ المِحَنُ في طريقِ عوْدتِهِ ، حتّى تحطّمتْ سفينتُهُ على شواطئِ قُطْرٍ مُجاورٍ ، وهُناكَ تناهتْ إلى سمْعِهِ أخبارٌ عنْ أوديسْيوس العظيمِ ، وأنّهُ لا يزالُ



حيًا ، وأنّه في طريقِ عَوْدَتِهِ إلى الوَطَنِ ، وقَدْ يكونُ ذَلِكَ أسْرَعَ مِمّا يَظُنّونَ .

لَمْ تَسْتَطِعْ هَذِهِ القِصَّةُ أنْ تَبْلُغَ مِنْ قَلْبِ الرّاعي الأمينِ مَبْلَغَ اليَقينِ ، ولَكِنَّهُ أكْرَمَ الشَّحّاذَ ، وأحْسَنَ ضِيافَتَهُ ، الّذي راحَ يُمْتِعُهُ بالقَصَصِ عَنْ حِصارِ طُرْوادَةَ حَتّى لَفَّهُما النَّوْمُ بِردائِهِ .

وفي أثْناءِ ذَلِكَ كانَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة تَغُذُّ السَّيْرَ في طَريقِها إلى إسْبَرْطة حَيْثُ بَلَغَتْ مَنْزِلَ مينيلاوس فَوَجَدَتْ تيليماخوس يَسْتَلْقي عَلَى ظَهْرِهِ مُسْتَيْقِظًا ، وكَأنَّهُ يَنْتَظِرُ قُدومَها ، ويَتَرَقَّبُ ظُهورَها فأنْبَأتْهُ أنَّ أُمَّهُ تَكادُ تَعْصِفُ بِها أزْمَةٌ طاحِنَةٌ ، وأنَّ عَلَيْهِ أنْ يُبْحِرَ فَوْرًا إلى إيثاكي لِيَكونَ إلى جِوارِ أُمِّهِ في ظَرْفِها العَصيبِ ، وأنَّ عَلَيْهِ إذا ما وَصَلَ إيثاكي أنْ يُرْسِلَ بَحّارَتَهُ إلى البَلْدَةِ ، ثُمَّ يَمْضيَ مُنْفَرِدًا عَبْرَ التِّلالِ لِيَلْقى الراعِيَ .

وَحينَ أشْرَقَ الصَّباحُ وَدَّعَ تيليماخوس هيليني ومينيلاوس بَعْدَ أنْ كَشَفَ لَهُما عَنْ زِيارَةِ الرَّبَّةِ العَظيمَةِ أثينة لَهُ ، وَما أنْبأتْهُ بِهِ . وَفي اللَّحْظَةِ الّتي كانَ يَهُمُّ فيها بِمُبارَحَةِ القَصْرِ هَبَطَ نَسْرٌ ضَخْمٌ مِنَ السَّماءِ ، وَخَطَفَ إوَزَّةً بَيْضاءَ ، حَمَلَها بَيْنَ مَخالِبِهِ وَفي مِنْقارِها بَقِيَّةٌ مِمّا كانَتْ تأكُلُ مِنْ حَشائِشَ ، وَطارَ بِها بَعيدًا . وَفَسَّرَتْ

هيليني هَذا الحَدَثَ بِأنَّ أوديسيوس سَيَهْبِطُ إلى إيثاكي كَما هَبَطَ النَّسْرُ ، وَسَيَقْضي عَلى أعْدائِهِ في خَطْفَةٍ قَوِيَّةٍ كَما خَطَفَ النَّسْرُ الإوَزَّةَ ، وَلَعَلَّهُ الآنَ مَوْجودٌ في إيثاكي يَرْسُمُ خُطَّةَ القَضاءِ عَلى أعْدائِهِ ، وَالانتِقامِ مِنْهُمْ .

سُرَّ تيليماخوس بِهَذا التَّنَبُّؤِ أيَّما سُرورٍ ، وَشَكَرَ هيليني ، عَلى ما بَثَّتْهُ في نَفْسِهِ مِنْ أمَلٍ حُلْوٍ ، وَطارَ إلى سَفينَتِهِ يَمْخُرُ عُبابَ البَحْرِ وَيُنَفِّذُ تَنفيذاً دَقيقاً ما أمَرَتْهُ بِهِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة .

وَبَيْنَما كانَ الراعي وَالشَّحّاذُ يُشْعِلانِ النّارَ لِطَهْوِ طَعامِ إفْطارِهِما، أبْصَرَ الرّاعي الأمينُ كِلابَ الحَقْلِ تُرَحِّبُ بِشابٍّ يَقْتَرِبُ مِنَ الكوخِ ، وَتُبَصْبِصُ بِأذْنابِها لَهُ ، فَلَمّا اقْتَرَبَ وَاستَطاعَتْ عَيْنُ الرّاعي أنْ تَتَبَيَّنَ مَلامِحَهُ عَرَفَ أنَّهُ تيليماخوس فَرَكَضَ إلَيْهِ يُرَحِّبُ بِمَقْدَمِهِ ، وَيُهَنِّئُهُ بِسَلامَةِ وُصولِهِ . وَما إنْ وَلَجَ الشّابُّ الكوخَ حَتّى نَهَضَ الشَّحّاذُ العَجوزُ مِنْ مَقْعَدِهِ ، غَيْرَ أنَّ الأميرَ الشّابَّ طَلَبَ إلَيْهِ – في حُنُوٍّ بالِغٍ – أنْ يَجْلِسَ وَيَسْتَريحَ ؛ فَما عَلَيْهِ مِنْ بَأسٍ في هَذِهِ السِّنِّ ألا يَنْهَضَ لِتَحِيَّةِ الأميرِ ، وَما عَلى الأميرِ مِنْ بَأسٍ في أنْ يُقَدِّمَ التَّجِلَّةَ وَالتَّوْقيرَ لِشُيوخِ بِلادِهِ .

وَبَعْدَ الفَراغِ مِنَ الطَّعامِ كانَ عَلى الرّاعي الأمينِ أنْ يَسْعى



إلى القَصْرِ ، لِيُعْلِنَ عَلى بينيلوبي خَبَرَ عَوْدَةِ ابنِها سالِماً آمِناً مِن إسبرطة . وَما كادَ الرّاعي الأمينُ يُسْرِعُ خُطاهُ مُتَّجِهاً صَوْبَ القَصْرِ حَتّى نَبَحَتْ كِلابُ الحَقْلِ نُباحاً قَوِيّاً عَنيفاً ، وَبَدا عَلَيْها كَثيرٌ مِنَ الرُّعْبِ وَالفَزَعِ ، مِمّا لَمْ يَسْتَطِعْ لَهُ الرَّحّالانِ تَفْسيراً ، غَيْرَ أنَّ حَدَثاً عَظيماً وَقَعَ أوْ سَيَقَعُ ! وَفي الحالِ ظَهَرَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة لأوديسيوس وَحْدَهُ ، وَأمَرَتْهُ أنْ يَكْشِفَ لابنِهِ عَنْ هُوِيَّتِهِ ، وَيُعَرِّفَهُ بِشَخْصِيَّتِهِ ، فَقَدْ صارا مُنْفَرِدَيْنِ . ثُمَّ مَسَّتْهُ بِعَصاها فَإذا هُوَ قَدْ تَبَدَّلَ شَأنُهُ ، وَإذا الفَتى يَرى أمامَهُ رَجُلاً قَوِيَّ البُنْيانِ ، جَميلَ المُحَيّا ، عَلَيْهِ سيماءُ المَهابَةِ وَالجَلالِ ، يَرْتَدي الثِّيابَ المَلَكِيَّةَ ، فَتَخَيَّلَ الفَتى أنَّهُ أمامَ أحَدِ الآلِهَةِ ، وَلَكِنَّ أوديسيوس قالَ لَهُ : « لَسْتُ إلهاً ، وَلَكِنَّني أبوكَ .»

وَأقْبَلَ الأميرُ الشّابُّ عَلى أبيهِ يُقَبِّلُهُ وَيُعانِقُهُ ، كَما أقْبَلَ أبوهُ عَلَيْهِ وَفي جَوانِحِهِ لَهْفَةٌ وَلَوْعَةٌ ما يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُما . وَدامَ العِناقُ يُطْفِئانِ بِهِ حُرْقَةَ الغِيابِ الطَّويلِ ، وَلَظى الشَّوْقِ المَريرِ ، ثُمَّ طَفِقا يَبْكِيانِ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ .

وَطَلَبَ أوديسيوس العَظيمُ إلى ابنِهِ أنْ يَرْوِيَ لَهُ المَزيدَ مِنْ أخْبارِ أولَئِكَ الشُّبّابِ ، الَّذينَ لَمْ يَرْعَوْا لِمَليكِهِمْ حُرْمَةً ، فَاجْتَرَءوا

عَلى قَصْرِهِ ، وَعاشوا فيهِ ، وَأَهانوهُ . فَقَصَّ عَلَيْهِ الأَميرُ الشّابُّ مِنْ خَبَرِهِمْ : أَنَّهُمْ مَعَ أَصْدِقائِهِمْ وَمَعارِفِهِمْ مِائَةُ شابٍّ وَثَمانِيَةٌ ، سُيوفُهُمْ مُثَبَّتَةٌ إِلى جُنوبِهِمْ ، لَكِنَّهُمْ لا يَلْبَسونَ خوذاتٍ أَوْ دُروعًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عُدَّةِ الحَرْبِ .

قالَ أوديسْيوس لِوَلَدِهِ إِنَّهُ يَأْمُلُ بِمُساعَدَةِ الرَّبَّةِ العَظيمَةِ أثينة أَنْ يَقْهَرَهُمْ جَميعًا ، وَأَنْ يُطَهِّرَ القَصْرَ مِنْ إِثْمِهِمْ . ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَعودَ مُسْرِعًا إِلى القَصْرِ ، وَأَنْ يُعْرِضَ عَنْ إِهاناتِ أُولَئِكَ الشَّبابِ وَحَماقاتِهِمْ ، وَأَنْ يَعْمَلَ حينَما تُواتيهِ الفُرْصَةُ على إِقْصاءِ جَميعِ الدُّروعِ وَالأَسلِحَةِ المُعَلَّقَةِ فَوْقَ حَوائِطِ السّاحَةِ الكُبْرى ، وَأَنْ يُخْفِيَها في مَخازِنِ السِّلاحِ ، عَلى أَنْ يَحْتَفِظَ مِنْها بِسَيْفَيْنِ وَرُمْحَيْنِ وَدِرْعَيْنِ لاسْتِخْدامِهِما . وَسَيَحْضُرُ هُوَ إِلَيْهِ في الصَّباحِ في هَيْئَةِ الشَّحّاذِ العَجوزِ ، وَعَلَيْهِ أَلا يُظْهِرَ لَهْفَةً في لِقائِهِ ، وَلا فَرْحَةً بِعَوْدَتِهِ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَلا يَعْرِفَ أَحَدٌ حَقيقَةَ أَنَّ الشَّحّاذَ العَجوزَ هُوَ أوديسْيوسُ .

وَما إِنْ فَرَغا مِنْ حَديثِهِما ، وَتَبَيَّنا تَفاصيلَ خُطَّتِهِما ، حَتّى مَسَّتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة أوديسْيوس بِعَصاها ، فَعادَ شَحّاذًا طاعِنًا في السِّنِّ مِسْكينًا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعودَ الرّاعي الأَمينُ مِنَ القَصْرِ المَلَكِيِّ .



## الفصل الخامس

# أوديسْيوس في القصر

في الصَّباحِ عادَ الأَميرُ الشّابُّ تيليماخوس إِلى القَصْرِ المَلَكِيِّ ، وَراحَ يُسَلّي أُمَّهُ ، وَيُسَرّي عَنْها ، وَيُفْصِحُ لَها في أَمَلٍ - عَمّا تَنَبَّأَتْ بِهِ هيليني . وَلَكِنَّ الأُمَّ لَمْ تَكُنْ راضِيَةً عَنْ هيليني ، وَلا مُحِبَّةً لَها ، بَلْ كانَ يَضيقُ صَدْرُها بِذِكْرِها ، وَتَعُدُّها أَكْبَرَ مَصْدَرٍ لِما تُصادِفُهُ مِنْ مَشَقّاتٍ وَصِعابٍ ، وَما تُعانيهِ مِنْ آلامٍ وَأَحْزانٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَليلٍ وَصَلَ القَصْرَ الشَّحّاذُ العَجوزُ ، ذو الأَسْمالِ البالِيَةِ ، وَالثِّيابِ الرَّثَّةِ ، يَصْحَبُهُ الرّاعي الأَمينُ الَّذي لا يَعْرِفُ عَنْ شَخْصِهِ شَيْئًا . وَما إِنْ وَلَجَ الرَّجُلانِ ساحَةَ القَصْرِ حَتّى هَبَّ كَلْبٌ عَجوزٌ يُرَحِّبُ بِالشَّحّاذِ المِسْكينِ ، وَيَهُزُّ ذَيْلَهُ فَرِحًا ، وَيَلْعَقُ يَدَيِ الشَّحّاذِ وَقَدَمَيْهِ وَيَطوفُ في بُطْءٍ حَوْلَهُ ، ثُمَّ سَقَطَ مَيْتًا . إِنَّهُ الكَلْبُ « أَرْغوس » كَلْبُ أوديسْيوس الَّذي كانَ يَرْعاهُ وَيُبادِلُهُ المَحَبَّةَ

وَالحَنانَ . لَقَدْ عَرَفَ صاحِبَهُ ، وَلكِنَّ تَقَدُّمَ سِنِّهِ ، وَ وَهَنَ قُوَّتِهِ ، حالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُقَدِّمَ لِصاحِبِهِ مِنَ التَّحِيَّةِ وَالإِجْلالِ ما يَنْبَغي أَنْ يُقَدَّمَ لِمِثْلِهِ ، فَكانَتْ هٰذِهِ النَّبَراتُ الخافِتَةُ الضَّعيفَةُ الَّتي تُصَوِّرُ مَعَ خُفوتِها – صِدْقَ عاطِفَةِ أَرغوس وَعُمْقَ وَفائِهِ لِسَيِّدِهِ . تَصْويرًا بارِعًا دَقيقًا . وَآيَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ لِوَهَنِ قُوَّتِهِ – أَنْ يَتَحَمَّلَ فَجاءَةَ المَوْقِفِ وَحَرارَةَ اللِّقاءِ ، وَطُغْيانَ الفَرْحَةِ ، فَما إِنِ اكْتَحَلَتْ عَيْناهُ بِمَرْأَى سَيِّدِهِ الجَميلِ حَتّى أَغْمَضَهُما عَلى مَنْظَرِهِ المَهيبِ ، وَراحَ في سُباتٍ أَبَدِيٍّ عَميقٍ .

دَخَلَ الرّاعي الأَمينُ قاعَةَ القَصْرِ ، بَيْنَما أَلْقى الشَّحّاذُ المِسْكينُ جَسَدَهُ الضَّعيفَ فَوْقَ أَريكَةٍ خَشَبِيَّةٍ لَدى البابِ ، وَشَرَعَ يَلْحَظُ ما حَوْلَهُ في حَذَرٍ دَقيقٍ . وَما إِنْ أَبْصَرَهُ الأَميرُ الشّابُّ حَتّى أَمَرَ الرّاعي أَنْ يَحْمِلَ لَهُ مِنَ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ ما يَكْفيهِ ، وَلَمّا تَناوَلَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ مِنَ الطَّعامِ ما طابَتْ بِهِ نَفْسُهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَ أَرْيَحِيَّةَ أُولٰئِكَ الشُّبّانِ وَكَرَمَهُمْ ، الَّذينَ كانوا يَجْلِسونَ إِلى المائِدَةِ الكَبيرَةِ يُولِمونَ ، فَبَدَأَ يَسْعى بَيْنَهُمْ يَطْلُبُ العَوْنَ . فَمَدَّ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ يَدَهُ بِفُتاتِ الخُبْزِ وَقِطَعِ العَظْمِ ، بَيْنَما سَخِرَ مِنْهُ أَنْتينوس وَرَماهُ بِكُرْسِيٍّ صَغيرٍ فَأَصابَهُ بِجُرْحٍ غائِرٍ في أَحَدِ كَتِفَيْهِ .



قالَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ : « أَتَمَنّى أَنْ يَموتَ هٰذا الشّابُّ قَبْلَ يَوْمِ زِفافِهِ . » أَمّا الآخَرونَ فَقَدْ ضاقوا بِفَعْلَةِ صاحِبِهِمْ أَنْتينوس وَلاموهُ بِعُنْفٍ عَلى إِتْيانِهِ هٰذا العَمَلَ المُنْكَرَ القَبيحَ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يُجاوِزوا اللَّوْمَ وَالإِنْكارَ .

وَكانَتْ بينيلوبي بِحَيْثُ تَشْهَدُ ما حَدَثَ ، فَطَلَبَتْ إِلى الرّاعي الأَمينِ يومايوس أَنْ يُحْضِرَ إِلَيْها ذٰلِكَ الشَّحّاذَ المِسْكينَ ، عَلَّها تَسْمَعُ مِنْهُ خَبَرًا ، أَوْ تُطَيِّبُ خاطِرَهُ ، وَتَأْسو جُرْحَهُ . وَلٰكِنَّ الشَّحّاذَ المِسْكينَ أوديسيوس الَّذي لَمْ تَسْتَطِعْ بينيلوبي أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلى شَخْصِيَّتِهِ – بَعَثَ إِلَيْها يَقولُ إِنَّهُ قَدْ ضُرِبَ في ساحَةِ القَصْرِ عَلى مَرْأًى مِنْها وَمَسْمَعٍ ، وَما هُوَ بِمُسْتَطيعٍ أَنْ يَخْطُوَ في هٰذِهِ السّاحَةِ إِلّا عِنْدَما يَحِلُّ المَساءُ ، وَيَنْصَرِفُ هٰؤُلاءِ الشُّبّانُ الحَمْقى إِلى بُيوتِهِمْ .

وَلَمّا تَوارَتِ الشَّمْسُ بِالحِجابِ ، وَنَشَرَ المَساءُ أَرْدِيَتَهُ الدّاكِنَةَ فَوْقَ السّاحَةِ ، وَخَلَتْ مِنْ أُولٰئِكَ الشُّبّانِ الحَمْقى ، أَسْرَعَ أوديسيوس وَابْنُهُ الأَميرُ الشّابُّ يُخْلونَ السّاحَةَ مِمّا عُلِّقَ فَوْقَ جُدْرانِها مِنَ الأَسْلِحَةِ ، وَيُلْقونَ بِها بَعيدًا في المَخازِنِ . ثُمَّ ذَهَبَ الأَميرُ الشّابُّ إِلى فِراشِهِ لِيَنالَ نَصيبًا مِنَ الرّاحَةِ ؛ مُتَأَهِّبًا لِيَوْمٍ عَظيمٍ . أَمّا أوديسيوس فَلَبِثَ في السّاحَةِ قائِمًا يَنْتَظِرُ قُدومَ بينيلوبي . وَما إِنْ هَبَطَتْ إِلَيْهِ

حَتّى بادَرَتْهُ بِالسُّؤالِ عَنْ هُوِيَّتِهِ ، وَعَمّا إذا كانَ يَحْمِلُ أَخْبارًا عَنْ زَوْجِها العَظيمِ أوديسْيوس .

اسْتَهَلَّ الشَّحّاذُ المِسْكينُ حَديثَهُ بِإطْراءِ جَمالِ بينيلوبي وَامْتِداحِ فِتْنَتِها ، فَقَدْ كانَتْ لا تَزالُ ساحِرَةَ الجَمالِ ، بارِعَةَ الفِتْنَةِ ، لا تَسْتَطيعُ العَيْنُ أَنْ تَعْبُرَها دونَ أَنْ تَرْنُوَ إِلَيْها طَويلاً ، تَتَمَلّى مَجالِيَ حُسْنِها ، وَتَسْرَحُ في مَواطِنِ سِحْرِها ، مُتَجاهِلاً بِذَلِكَ جَوابَ سُؤالِها .

وَأعادَتْ عَلَيْهِ سُؤالَها ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ في أَنْ يُحَدِّثَها عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَنْبَأَها أَنَّهُ أَميرٌ كَريتِيٌّ ، لَمْ يَذْهَبْ إلى طُرْوادَةَ وَلَمْ يُشارِكْ في حَرْبِها ، وَلَكِنَّهُ التَقى أوديسْيوس عِنْدَما زارَ الرَّجُلَ العَظيمَ في جَزيرَةِ كريت ، وَهُوَ في طَريقِهِ إلى طُرْوادَةَ . وَلَمّا كانَتْ بينيلوبي قَدِ اسْتَمَعَتْ إلى الكَثيرِ مِنَ القِصَصِ الكاذِبَةِ عَنْ زَوْجِها أَرادَتْ أَنْ تَخْتَبِرَ مَدى صِدْقِ هَذا الغَريبِ في حَديثِهِ ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ الدِّثارِ الَّذي كانَ يَتَدَثَّرُ بِهِ أوديسْيوس إذا كانَ قَدْ رَآهُ حَقًّا وَالتَقاهُ فَأَجابَها الشَّحّاذُ المِسْكينُ بِأَنَّ زَوْجَها كانَ يَرْتَدي عَباءَةً أُرْجُوانِيَّةَ اللَّوْنِ ، مُثَبَّتَةً بِمِشْبَكٍ عَلى هَيْئَةِ كَلْبٍ مِنْ كِلابِ الصَّيْدِ .

عِنْدَئِذٍ فاضَتْ عَيْنا بينيلوبي بِالدُّموعِ ، وَتَأَكَّدَ لَها صِدْقُ ما رَواهُ



الشَّحّاذُ المِسْكينُ ، فَهِيَ الَّتي أَعْطَتْ زَوْجَها تِلْكَ العَباءَةَ وَذَلِكَ المِشْبَكَ . وَحينَئِذٍ شَعَرَ أوديسْيوس بِمَدى تَأْثيرِ كَلامِهِ في نَفْسِ بينيلوبي ، فَمَضى في حَديثِهِ ، يُنَبِّئُها بِأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ زَوْجَها لا يَزالُ حَيًّا ، وَإِنْ كانَ قَدْ فَقَدَ جَميعَ بَحّارَتِهِ ، وَأَنَّهُ في طَريقِهِ إلى وَطَنِهِ ، بَلْ إِنَّهُ واثِقٌ كُلَّ الوُثوقِ مِنْ أَنَّ أوديسْيوس العَظيمَ سَيَكونُ هُنا في إيثاكي في أَحَدِ أَيّامِ هَذا العامِ .

أَطْرَقَتْ بينيلوبي إِطْراقَةً واجِمَةً ، وَهِيَ مُتَحَيِّرَةٌ بَيْنَ التَّصْديقِ وَالتَّكْذيبِ . قَلْبُها يُزَيِّنُ لَها التَّصْديقَ ، وَيَحُثُّها عَلَيْهِ وَيُغْريها بِمَظاهِرِ البَهْجَةِ وَالحُبورِ الَّتي سَتَغْمُرُ القَصْرَ وَتَعُمُّ الوَطَنَ حينَما يَعودُ الغائِبُ المُرْتَقَبُ ، وَعَقْلُها يُزَيِّنُ لَها التَّكْذيبَ ، وَيَحُثُّها عَلَيْهِ . فَإِذا كانَ الشَّحّاذُ الغَريبُ قَدْ لَقِيَ زَوْجَها حَقًّا فَقَدْ كانَ ذَلِكَ وَهُوَ في طَريقِ ذَهابِهِ إلى طُرْوادَةَ ، لا في طَريقِ عَوْدَتِهِ مِنْها ، وَقَدْ مَضَتْ عَلى ذَلِكَ سِنونَ طَويلَةٌ .

وَرَفَعَتْ رَأْسَها وَعَلى وَجْهِها أَماراتُ الحَيْرَةِ ، وَدَلائِلُ الإِرْهاقِ ، وَطَلَبَتْ إلى المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يوريكْليا أَنْ تَغْسِلَ قَدَمَي الشَّحّاذِ المِسْكينِ بِالماءِ الدّافِئِ ، وَأَنْ تُضَمِّدَ جُرْحَ كَتِفِهِ . وَنَهَضَتِ العَجوزُ لِتَلْبِيَةِ ما طَلَبَتْ سَيِّدَتُها ، وَأَشاحَ أوديسْيوس بِوَجْهِهِ بَعيدًا عَنْ وَهَجِ النّيرانِ ، حَتّى لا تَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ العَجوزُ ، وَلَكِنَّها عَلى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ –

لاحظَتْ شَبَهًا قويًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيِّدِها الغائِبِ المُرْتَقَبِ ، وَتَأَكَّدَ لَها ذَلِكَ حينَما وَجَدَتْ في إِحْدى ساقَيْهِ أَثَرَ نُدْبَةِ ذَلِكَ الجُرْحِ العَميقِ الَّذي كانَ قَدْ أُصيبَ بِهِ سَيِّدُها في إِحدى رِحْلاتِ صَيْدِهِ قَبْلَ زَواجِهِ . هَذا الجُرْحُ الَّذي ما كانَتْ عَيْنُ الأَمَةِ العَجوزِ لِتُخْطِئَهُ أَبَدًا ، وَهِيَ الَّتي طالَما نَظَّفَتْهُ وَضَمَّدَتْهُ حينَذاكَ . فَابْتَسَمَتْ لَهُ ، وَهَمَسَتْ بِاسْمِهِ ، فَأَشارَ إِلَيْها أوديسْيوس أَنْ تَلْزَمَ الصَّمْتَ ، فَاسْتَجابَتْ وَانْصَرَفَتْ مُطْمَئِنَّةً راضِيَةً .

وَلَكِنَّ بينيلوبي لَبِثَتْ في مَكانِها لا تَريمُ ، تَجِدُ في نَفْسِها رَغْبَةً قَوِيَّةً في الحَديثِ مَعَ الغَريبِ ، وَالإِفْضاءِ لَهُ بِمَكْنونِ نَفْسِها ، وَالإِفْصاحِ لَهُ عَنْ أَطْواءِ ضَميرِها . فَقَدْ غَدَتْ عاجِزَةً عَنْ مُقاوَمَةِ الرِّجالِ المُسَلَّحينَ في طَلَبِ الزَّواجِ بِها ، المُصِرِّينَ عَلى أَنْ تَخْتارَ مِنْ بَيْنِهِمْ واحِدًا تَتَزَوَّجُهُ ، وَيُتَوَّجَ مَلِكًا عَلى إيثاكي ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تُفَكِّرُ في حيلَةٍ تُحْبِطُ بِها آمالَهُمْ ، وَتُظْهِرُ بِها عَجْزَهُمْ وَفَشَلَهُمْ . لَقَدْ تَرَكَ زَوْجُها أوديسْيوس قَوْسًا عَظيمَةً ، لا يَتَأَتَّى ثَنْيُها وَالرَّمْيُ عَنْها إِلا لِرَجُلٍ مَتينِ البُنْيانِ ، مَفْتولِ السّاعِدِ ، قَوِيِّ العَضَلاتِ . كَما تَرَكَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَلْطَةً ، في نَصْلِ كُلٍّ مِنْها ثُقْبٌ . وَكانَ مِنْ عادَتِهِ أَنْ يَصُفَّ البَلْطاتِ صَفًّا واحِدًا مُسْتَقيمًا ، ثُمَّ يَرْمي بِالسَّهْمِ فَيَنْفُذَ مِنْ بَيْنِ الثُّقوبِ جَميعًا . إِنَّها سَتُحْضِرُ البَلْطاتِ ، وَسَتُحْضِرُ القَوْسَ ، وَتُعْلِنُ إِلى الرِّجالِ أَنَّ مَنِ اسْتَطاعَ مِنْهُمْ أَنْ يَصْنَعَ صَنيعَ أوديسْيوس مِنْ ثَنْيِ القَوْسِ ، وَنَفاذِ السَّهْمِ مِنْ بَيْنِ ثُقوبِ البَلْطاتِ جَميعِها فَهُوَ الَّذي سَيَكونُ لَهُ حَقُّ الزَّواجِ بِها ، وَسَيَكونُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُتَوَّجَ عَلى إيثاكي مَلِكًا .

هَدَّأَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ مِنْ رَوْعِها ، وَطَمْأَنَ خاطِرَها مُفْصِحًا لَها عَنِ اعْتِقادِهِ في أَنَّ أوديسْيوس العَظيمَ سَيَكونُ هُنا قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ أَيٌّ مِنَ الرِّجالِ الاثْنَيْ عَشَرَ مِنْ ثَنْيِ قَوْسِهِ وَالرَّمْيِ بِها ، وَغَدًا

تعودُ القَوْسُ إلى باريها . وَابتَسَمَ لها ، فَوَلَّتْ عَنْهُ تَتَقاذَفُ نَفْسَها مَشاعِرُ الأَمَلِ وَالرَّجاءِ وَمَشاعِرُ اليَأْسِ وَالقُنوطِ . وَلكِنَّها لَمْ تَمْلِكْ إلا أَنْ تُحَيِّيَهُ تَحِيَّةَ المَساءِ ، ثُمَّ تَتَّجِهَ إلى غُرْفَتِها لِتَنامَ ، بَيْنَما رَقَدَ أُودِيسْيوس عَلى أَرْضِ السّاحَةِ الكُبْرى في القَصْرِ المَلَكِيِّ يُفَكِّرُ في الغَدِ المُنْتَظَرِ .



# الفصل السادس

# نِهاية الصِّراع

في الصَّباحِ الَّذي كانَ يَنْتَظِرُهُ أُودِيسْيوس وَابْنُهُ الأَميرُ الشّابُّ بِصَبْرٍ نافِدٍ ، وَحِسٍّ مُتَوَفِّزٍ ، جاءَ الرِّجالُ الاثْنا عَشَرَ يَصْطَحِبونَ مَعَهُمْ أَصْدِقاءَهُمْ وَمَعارِفَهُمْ إلى ساحَةِ القَصْرِ المَلَكِيِّ كَعادَتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ ، يَأْكُلونَ طَعامَ بينيلوبي وَيَشْرَبونَ شَرابَها وَيَسْخَرونَ مِنْ وَلَدِها . وما إِنِ اجتَمَعَ شَمْلُهُمْ في السّاحَةِ حَتّى هَبَطَتْ إِلَيْهِمْ بينيلوبي في زينَتِها ، تَحْمِلُ في يَدَيْها قَوْسَ زَوْجِها ، وَمِنْ خَلْفِها خادِماتُها يَحْمِلْنَ صُنْدوقاً بِهِ الاثْنَتا عَشْرَةَ بَلْطَةً ؛ فَتَطَلَّعَ الجَميعُ إِلَيْها مَبْهورينَ بِجَمالِها ، مَسْحورينَ بِفِتْنَتِها ، وَسَرَتْ بَيْنَهُمْ هَمْهَمَةٌ لا تَكادُ تَبينُ وأَشارَتْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَصْمُتوا ، فَصَمَتوا كَأَنَّ عَلى رُءوسِهِمُ الطَّيْرَ ، ثُمَّ قالَتْ : « لَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَتَّخِذَ مِنْ بَيْنِكُمْ زَوْجاً ، يَصيرُ على إيثاكي



مَلِكًا .» وَهُنا اشرَأَبَّتْ أَعْناقُهُمْ نَحْوَها ، وَحَمْلَقَتْ عُيونُهُمْ فيها ، وَتَخَيَّلَ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنَّهُ الزَّوْجُ المُنْتَظَرُ ، فَهُوَ أَكْمَلُ الرِّجالِ خُلُقًا ، وَأَذْكاهُمْ عَقْلاً ، وَأَنْفَذُهُمْ بَصيرَةً ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ النَّقائِصِ الَّتي يَتَّصِفُ بِها غَيْرُهُ .

قالَتْ بينيلوبي : « وَلكِنْ لا بُدَّ مِنْ وَسيلَةٍ أَخْتارُ بِها مِنْ بَيْنِكُمْ رَجُلاً . إِنِّي لَنْ أَتَزَوَّجَ إِلا مَنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ ما كانَ يَصْنَعُ أوديسْيوس . يَثْني القَوْسَ ، وَيَرْمي عَنْها بِسَهْمٍ ، يَمْرُقُ مِنْ ثُقوبِ نِصالِ البَلْطاتِ جَميعِها . هاكُمُ القَوْسَ وَالسِّهامَ وَالبَلْطاتِ !»

وَكانَ تيليماخوس الأَميرُ الشّابُّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ ؛ فَقالَ إِنَّهُ سَيَقومُ بِأَوَّلِ مُحاوَلَةٍ ، فَإِذا كُتِبَ لَهُ النَّجاحُ فَلَنْ يَسْمَحَ لِرَجُلٍ آخَرَ بِأَنْ يَأْخُذَ أُمَّهُ ، وَلا أَنْ يَتَوَّجَ عَلَى إيثاكي مَلِكًا .

وَحاوَلَ مَرّاتٍ ثَلاثًا أَنْ يَثْنِيَ القَوْسَ فَلَمْ يُفْلِحْ ، وَكادَ في المَرَّةِ الرّابِعَةِ أَنْ يَنْجَحَ ، وَلكِنَّ إِشارَةً خَفِيَّةً سَريعَةً مِنْ أَبيهِ جَعَلَتْهُ يُقْلِعُ عَنِ المُحاوَلَةِ ، وَيَتَظاهَرُ بِالفَشَلِ ، مُفْصِحًا عَنْ ضَعْفِهِ ، مُفْسِحًا الطَّريقَ لِمَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ قُوَّةً ، وَأَشَدُّ صَلابَةً ، كَيْ يُجَرِّبَ حَظَّهُ . وَحاوَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الرِّجالِ الاثْنَيْ عَشَرَ أَنْ يَثْنِيَ القَوْسَ العَظيمَةَ ، فَباءَتْ مُحاوَلاتُهُمْ جَميعًا بِالفَشَلِ الذَّريعِ ، وَفي أَثْناءِ ذَلِكَ كانَ أوديسْيوس

قَدْ صَحِبَ الرّاعِيَ الأمينَ يومايوس إلى الخارِجِ ، وَسَأَلَهُ : « إلى أيِّ جانِبٍ سَتَنْحازُ لَوْ أَنَّ أوديسيوسَ قَدْ عادَ ؟ هَلْ سَتُقاتِلُ في صَفِّهِ ، أَمْ مَعَ هَؤُلاءِ الشَّبابِ الأَوْغادِ ؟»

صاحَ الرّاعي الأمين دونَ تَفْكيرٍ : « مَعَ أُودِيسْيوس طَبْعًا ! وَإِنّي لأَتَمَنّى لَوْ يَعودُ اليَوْمَ .»

قالَ أوديسْيوس : « إِنَّهُ قَدْ عادَ ! فَأَنا هُوَ بِشَحْمِهِ وَلَحْمِهِ !» ثُمَّ أَظْهَرَ لِلراعي الأمينِ العَلامَةَ الَّتي تُمَيِّزُهُ ، وَهِيَ الجُرْحُ العَميقُ الَّذي أَصابَ ساقَهُ في رِحْلَةِ صَيْدٍ قَبْلَ زَواجِهِ ، فَفاضَتْ دُموعُ الفَرَحِ مِنْ عَيْنَيِ الرّاعي الأمينِ ، وَأَكَبَّ عَلى يَدَيْ سَيِّدِهِ ، يوسِعُهُما لَثْمًا وَتَقْبيلاً .

قالَ أُودِيسْيوس إِنَّهُ سَيَعودُ إلى السّاحَةِ ، وَيَطْلُبُ إلى القَوْمِ أَنْ يَأْذَنوا لَهُ بِتَجْرِبَةِ قُوَّتِهِ ، وَاخْتِبارِ مَهارَتِهِ ، وَأَنَّ عَلى يومايوس أَنْ يَضَعَ القَوْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَهْما أَصَرَّ الآخَرونَ عَلى الرَّفْضِ ، وَأَسْرَفوا في السُّخْرِيَةِ ، وَأَفْحَشوا في القَوْلِ .

قالَ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَخَلَ القاعَةَ ، يَتْبَعُهُ يومايوس .

وَكانَ الرِّجالُ قَدِ استَجابوا إلى اقْتِراحِ أنتينوس بِتَأْجيلِ المُحاوَلاتِ



إلى الغَدِ ، بَعْدَ أَنْ باءوا اليَوْمَ بِالفَشَلِ ، وَبَدءوا يَلْهونَ وَيَشْرَبون ، وَلَكِنَّ أُودِيسْيوس طَلَبَ مِنْهُمُ السَّماحَ لَهُ بِالمُحاوَلَةِ ، فَإِذا هُمْ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ في ازْدِراءٍ وَاحْتِقارٍ ، وَيَتَصايَحونَ بِطَرْدِهِ مِنَ السّاحَةِ . وَلَكِنَّ بينيلوبي تَحْسِمُ المَوْقِفَ بِقَوْلِها : « إِنَّ مِنْ حَقِّ الشَّحّاذِ أَنْ يُجَرِّبَ قُوَّتَهُ ، وَيَقومَ بِمُحاوَلَتِهِ ، عَلى أَنَّني – بِالطَّبْعِ لَنْ أَتَزَوَّجَهُ لَوْ نَجَحَ في مُحاوَلَتِهِ ، إِنَّما سَأَكْسوهُ ثِيابًا جَديدَةً فاخِرَةً ، وَأُزَوِّدُهُ بِما يُتيحُ لَهُ السَّفَرَ إلى أَيِّ مَكانٍ يَشاءُ .»

عِنْدَئِذٍ قالَ تيليماخوس الأَميرُ الشّابُّ : « إِنَّ القَوْسَ قَوْسُ أَبي ، وَهُوَ صاحِبُها ، وَلَوْ رَغِبَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ في أَنْ يَأْخُذَها هَدِيَّةً مِنّي لَقَدَّمْتُها لَهُ عَنْ طيبِ خاطِرٍ .» ثُمَّ أَمَرَ أُمَّهُ أَنْ تُغادِرَ السّاحَةَ هِيَ وَالنِّسْوَةُ فَوْرًا .

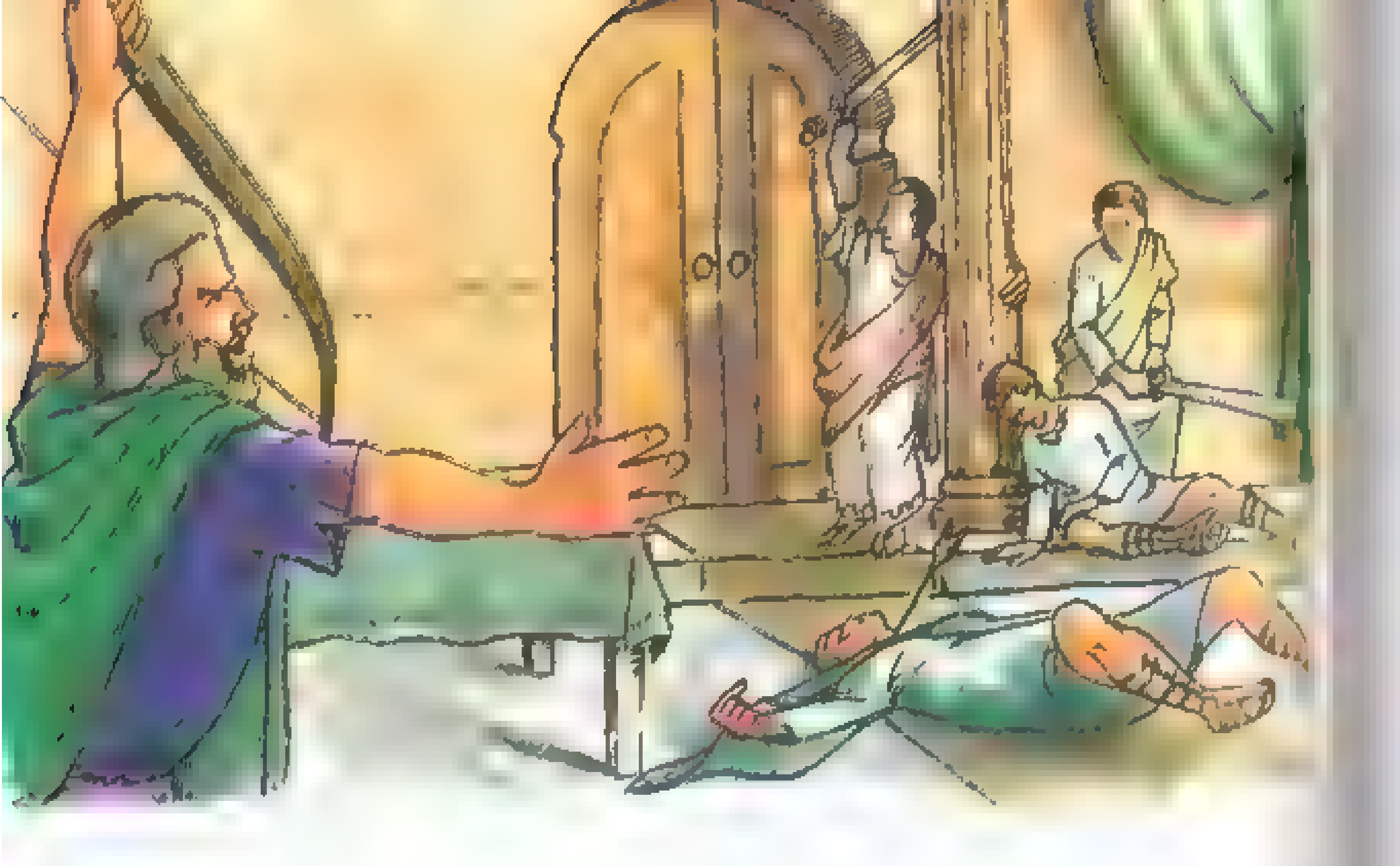
وَتَمَلَّكَ العَجَبُ نَفْسَ بينيلوبي عِنْدَما سَمِعَتْ قَوْلَ ابْنِها وَلَمَسَتْ في نَبْرَةِ صَوْتِهِ السِّيادَةَ وَالسُّلْطانَ ، وَاهْتَزَّتْ أَعْماقُها طَرَبًا وَهِيَ تَراهُ يُمارِسُ سِيادَتَهُ عَلى القَصْرِ ، فَصَعِدَتْ إلى غُرْفَتِها ، يَتْبَعُها خادِماتُها ، تَلْبِيَةً لأَمْرِ سَيِّدِ القَصْرِ الَّذي يَنْبَغي أَنْ يُطاعَ .

وَبِسُرْعَةٍ وَضَعَ الأَميرُ الشّابُّ القَوْسَ بَيْنَ يَدَيْ أُودِيسْيوس وَفي صَمْتٍ وَحَذَرٍ أَوْصَدَ الرّاعي الأَمينُ جَميعَ الأَبْوابَ .

وَجلَسَ أولَئِكَ الشَّبابُ الأوغادُ إلى مَوائِدِهِمْ ، وَهُمْ يَحْتَرِقونَ جَسَدَ الشَّحّاذِ المِسْكينِ بِنَظَراتِهِمْ الَّتي تَفيضُ بِالتَّهَكُّمِ وَالسُّخْرِيَةِ ، وَتَنْضَحُ بِالحِقْدِ وَالاحْتِقارِ . كَيْفَ يَسْتَطيعُ هَذا الشَّحّاذُ ، مَعَ ضَعْفِ جِسْمِهِ وَ وَهَنِ قُوَّتِهِ ، أَنْ يَأْتِيَ مِنَ العَمَلِ ما عَجَزوا عَنْ إتْيانِهِ مَعَ فَرْطِ قُوَّتِهِمْ وَفُتُوَّتِهِمْ ؟

وَلَكِنَّ الشَّحّاذَ المِسْكينَ أَثارَ كَوامِنَ غَيْظِهِمْ وَبالَغَ دَهْشَتِهِمْ وَسَخَطِهِمْ حينَ أَمْسَكَ بِالقَوْسِ في رِفْقٍ ، ثُمَّ مالَ عَلَيْها في حُنُوٍّ بالِغٍ كَأَنَّما يُناجيها وَتُناجيهِ ، وَفي حَرَكَةٍ لَطيفَةٍ رَشيقَةٍ ثَناها ، فَاسْتَجابَتْ لَهُ ، وَتَجاوَبَتْ مَعَهُ . ثُمَّ راحَ يُثَبِّتُ فيها الوَتَرَ كَأَيِّ موسيقارٍ بارِعٍ يُثَبِّتُ وَتَرًا جَديدًا في آلَتِهِ الَّتي يُحِبُّها وَتُحِبُّهُ ، ثُمَّ التَقَطَ سَهْمًا كانَ فَوْقَ إحْدى المَوائِدِ في هُدوءٍ وَسَكينَةٍ ، وَثَبَّتَهُ في الوَتَرِ ، وَصَوَّبَهُ خِلالَ الثُّقوبِ الَّتي في نِصالِ البَلْطاتِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ . وَاسْتَدارَ إلى القَوْمِ ، وَبِإيماءَةٍ خَفيفَةٍ مِنْ رَأْسِهِ ، وَابْتِسامَةٍ ماكِرَةٍ مِنْ شَفَتَيْهِ ، فَهِمَ عَنْهُ ابْنُهُ الأَميرُ الشّابُّ ما يُريدُ ، وَإذا هُوَ يَشْهَرُ سَيْفَهُ في يُمْناهُ ، وَيَحْمِلُ رُمْحَهُ في يُسْراهُ ، وَيَقِفُ إلى جِوارِ أَبيهِ . وَبِوَثْبَةٍ واحِدَةٍ رائِعَةٍ يَصِلُ أوديسْيوس إلى البابِ ، وَيَقِفُ وَالقَوْسُ لا تَزالُ في يَدِهِ ، ثُمَّ يَقولُ : « وَالآنَ أَيُّها السّادَةُ ، سَأُصيبُ شَيْئًا لَمْ يَسْبِقْ لأَحَدٍ مِنْ قَبْلي أَنْ أَصابَهُ .»





وَفي لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ يُصَوِّبُ السَّهْمَ نَحْوَ أنتينوس ، وَإذا السَّهْمُ يَمْرُقُ مِنْ خِلالِ حُلْقومِهِ ، فَيُرْديهِ قَتيلاً ، كَما يُحَطِّمُ الكَأْسَ المُذَهَّبَةَ الَّتي كانَ يَشْرَبُ مِنْها . وَيَهُبُّ الرِّجالُ الآخَرونَ عاصِبينَ ، وَهُمْ يُجيلونَ الطَّرْفَ في جُدْرانِ السّاحَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، يَبْحَثونَ عَنِ الأَسْلِحَةِ الَّتي كانَتْ مُعَلَّقَةً فَوْقَها ، فَإذا هِيَ عارِيَةٌ خاوِيَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأُسْقِطَ في أَيْديهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ يَصيحونَ بِالشَّحّاذِ . « سَتُقْتَلُ أَيُّها الشَّحّاذُ الحَقيرُ ، وَسَنَجْعَلُكَ طَعامًا لِلنُّسورِ !»

فَأَجابَهُمْ أوديسْيوس العَظيمُ في شَجاعَةِ البَطَلِ وَاطْمِئْنانِ الواثِقِ :
« أَيُّها الأَوْغادُ ، أَ تَعْرِفونَ مَنْ أَنا ؟ لَقَدِ اسْتَحْتُمْ قَصْري ، وَطَمِعْتُمْ

في زَوْجي ، وَأَهْتَمَّ وَلَدي ، ظنّاً مِنْكُمْ أَنَّني لَنْ أَعودَ . إِنَّ أُودِيسْيوس قَدْ عادَ لِيَنْتَقِمَ !»

اضطَرَبَ أَمْرُهُمْ اضطِراباً شَديداً ، وَتَداخَلَ بَعْضُهُمْ في بَعْض تَداخُلاً مُنْكَراً ، وَأَصْبَحوا كَفِئْرانٍ مَذْعورَةٍ لا تَجِدُ السَّبيلَ إِلى الخُروجِ مِنَ الشَّرَكِ الَّذي وَقَعَتْ فيهِ وَهُنا صاحَ أَحَدُهُمْ في ذُعْرٍ وَهَلَعٍ : « أَيُّها الرِّفاقُ ، اشْهِروا سُيوفَكُمْ ، وَاجْعَلوا المَوائِدَ دُروعاً تَقيكُمْ سِهامَ هَذا الرَّجُلِ ، وَاحمِلوا عَلَيْهِ حَمْلَةً واحِدَةً .» ثُمَّ شَهَرَ سَيْفَهُ ، وَقَفَزَ إِلى الأَمامِ قَفْزَةً ، وَلَكِنَّ سَهْماً مِنْ أُودِيسْيوس عاجَلَهُ في صَدْرِهِ فَأَصْماهُ . وَحاوَلَ رَجُلٌ آخَرُ أَنْ يَهْجُمَ عَلى أُودِيسْيوس وَلَكِنَّ رُمْحَ الأَميرِ الشّابِّ طَعَنَهُ في كَتِفِهِ طَعْنَةً نَجْلاءَ .

وَفي هَذِهِ اللَّحَظاتِ الحاسِمَةِ تَسَلَّقَ خادِمٌ اسْتَبْدَلَ بِوَلائِهِ لِمَليكِهِ وَلاءَ الشَّيْطانِ وَالخِيانَةِ – تَسَلَّقَ هَذا الخادِمُ مَخْزَنَ السِّلاحِ ، وَراحَ يُلْقيهِ إِلى الرِّجالِ في السّاحَةِ ، لِيُثْخِنوا أُودِيسْيوس وَابْنَهُ وَالرّاعِيَ الأَمينَ جِراحاً . وَأَخَذَتِ الرِّماحُ تَتَناوَشُ أُودِيسْيوس مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَالسِّهامُ تَنْطَلِقُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَلَكِنَّ الرَّبَّةَ العَظيمَةَ أَثينَة كانَتْ لَهُمْ بِالمِرْصادِ ؛ فَإِذا هِيَ تَظْهَرُ لأُودِيسْيوس تَحُثُّهُ وَتُشَجِّعُهُ عَلى المُضِيِّ في القِتالِ ، وَتُطيشُ السِّهامَ وَالرِّماحَ بَعيداً عَنْهُ ، فَلا



تَنالُ مِنْهُ مَنالاً . وَكَمْ كانَ لِتَشْجيعِها مِنْ أَثَرٍ قَوِيٍّ كَريمٍ في نَفْسِهِ ، فَمَضى يُقاتِلُ غَيْرَ هَيّابٍ وَلا وَجِلٍ حَتّى اسْتَطاعَ هُوَ وَابْنُهُ وَالرّاعي الأَمينُ أَنْ يَقْضوا عَلى جَميعِ الرِّجالِ ، وَيُحَوِّلوهُمْ جُثَثاً وَأَشْلاءً تُغَطّي أَرْضَ السّاحَةِ .

انْتَهَتِ المَعْرَكَةُ فَأَمَرَ أُودِيسْيوس بِإِزالَةِ آثارِها ؛ فَحَمَلَ الخَدَمُ الجُثَثَ وَالأَشْلاءَ إِلى خارِجِ السّاحَةِ ، وَجاءَ النِّسْوَةُ لِيُنَظِّفْنَ الأَرْضَ مِمّا عَلِقَ بِها مِنْ دِماءِ الأَوْغادِ ، ثُمَّ أَخَذْنَ الخادِمَ الخائِنَ ميلانثيوس وَقَتَلْنَهُ ، ثُمَّ اغتَسَلْنَ ، وَبَعَثْنَ رِسالَةً إِلى بينيلوبي يَطْلُبْنَ إِلَيْها النُّزولَ .

وَكَأَنَّما دَبَّتْ في جَسَدِ المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يوريكْليا قُوَّةٌ سِحْرِيَّةٌ ، لا تَعْرِفُ مَأْتاها ، وَلا تُدْرِكُ كُنْهَها ، فَطارَتْ في هِمَّةٍ وَثّابَةٍ ناشِطَةٍ إِلى سَيِّدَتِها ، تَزُفُّ إِلَيْها البُشْرى ، وَتَطْلُبُ إِلَيْها أَنْ تَهْبِطَ كَيْ تُشاهِدَ ما تاقَتْ نَفْسُها إِلى مُشاهَدَتِهِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ ؛ فَقَدْ عادَ البَطَلُ أُودِيسْيوس وَقَتَلَ جَميعَ الأَوْغادِ ، الَّذينَ كانوا يُعَكِّرونَ صَفْوَ القَصْرِ ، وَيُهَدِّدونَ سَلامَتَهُ وَأَمْنَهُ . وَكانَ فيما قالَتْهُ المُرَبِّيَةُ العَجوزُ :

« إِنَّ أُودِيسْيوس العَظيمَ في السّاحَةِ يا سَيِّدَتي يَنْتَظِرُ مَقْدَمَكِ . إِنَّهُ ذَلِكَ الشَّحّاذُ العَجوزُ الَّذي سَخِرَ مِنْهُ الجَميعُ ، لَكِنَّ تيليماخوس كانَ يَعْرِفُ مُنْذُ البِدايَةِ أَنَّهُ أَبوهُ .»

لَمْ تَقْتَنِعْ بِينيلوبِي بِكَلامِ مُرَبِّيَتِها العَجوزِ كُلَّ الاقْتِناعِ ، وَلَمْ تَثِقْ فيهِ كُلَّ الثِّقَةِ ، فَقَدْ كانَ يُخامِرُها بَعْضُ الشَّكِّ في أَنْ يَكونَ الشَّحّاذُ العَجوزُ واحِداً مِنْ أُولَئِكَ المُغامِرينَ ، الَّذينَ يُجيدونَ تَمْثيلَ الأَدْوارِ إِجادَتَهُمْ تَلْفيقَ القَصَصِ وَالحِكاياتِ . وَأَبْدَتْ لِلْمُرَبِّيَةِ العَجوزِ مَخاوِفَها ، ثُمَّ زَفَرَتْ في أَسًى وَقالَتْ : « لا شَكَّ في أَنَّ أُوديسْيوس قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ في إِحْدى البِلادِ النّائِيَةِ . »

وَلَكِنَّ المُرَبِّيَةَ العَجوزَ أَلَحَّتْ عَلى سَيِّدَتِها في أَنْ تُصَدِّقَها ، وَأَخْبَرَتْها أَنَّها رَأَتْ أَثَرَ نَدْبَةِ الجُرْحِ العَميقِ الَّذي أُصيبَ بِهِ في ساقِهِ وَهُوَ في رِحْلَةِ صَيْدٍ قَبْلَ زَواجِهِ . فَلَمْ تَجِدْ بِينيلوبِي مَفَرًّا مِنْ أَنْ تَهْبِطَ إِلى السّاحَةِ ، وَأَنْ تَقْطَعَ الشَّكَّ بِاليَقينِ ؛ فَتَضَعَ ذَلِكَ الشَّحّاذَ مَوْضِعَ الاخْتِبارِ ، وَتَحْسِمَ بِذَلِكَ أَمْرَها .

هَبَطَتْ إِلى السّاحَةِ وَجَلَسَتْ بِجِوارِ النّارِ في مُواجَهَةِ الشَّحّاذِ الَّذي كانَتْ يَداهُ وَأَسْمالُهُ مُلَطَّخَةً بِالدِّماءِ مِنْ أَثَرِ القِتالِ ، وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ الإِجْهادُ وَالإِرْهاقُ مِنْ جَرّاءِ المَعْرَكَةِ . وَتَفَرَّسَتْ بِينيلوبِي في وَجْهِهِ ، فَلَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ جَيِّدًا ، وَإِنْ كانَ بَعْضُ الشَّكِّ المَمْزوجِ بِالقَلَقِ وَالحَيْرَةِ يَعْتَمِلُ في صَدْرِها ، وَيَجوسُ خِلالَ نَفْسِها .

وَلَمّا كانَتْ قَدْ جَلَسَتْ صامِتَةً لا تَنْبِسُ مِنْها شَفَةٌ ، ساكِنَةً لا



تَطْرِفُ لَها عَيْنٌ ، رَماها ابْنُها تيليماخوس بِقَسْوَةِ الغَضَبِ ، وَفُتورِ الحِسِّ وَجُمودِ العاطِفَةِ . لَكِنَّها قالَتْ : « وَلَدي ! إِنَّني مُتَوَتِّرَةُ النَّفْسِ ، مُضْطَرِبَةُ الأَعْصابِ ، وَلَسْتُ أَدْري ماذا أَقولُ ! عَلى أَيَّةِ حالٍ إِذا كانَ هَذا الرَّجُلُ هُوَ الغائِبُ المُنْتَظَرُ حَقًّا فَلا شَكَّ في أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنَ الأُمورِ ما لا يَعْرِفُهُ غَيْري وَغَيْرُهُ . إِنَّني لَنْ أَعْدَمَ الوَسيلَةَ الَّتي أَعْرِفُ بِها صِدْقَهُ . »

وَعِنْدَئِذٍ أَمَرَ أُوديسْيوس ابْنَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلى الحَمّامِ ، كَيْ يَغْتَسِلَ وَيَرْتَدِيَ مَلابِسَ نَظيفَةً تَليقُ بِهِ ، وَتُناسِبُ مَقامَهُ . أَمّا هُوَ فَقَدْ راحَتِ المُرَبِّيَةُ العَجوزُ يوريكْليا تَغْسِلُ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ، وَتَدْعَكُ جِسْمَهُ بِالزَّيْتِ . ثُمَّ أَحْضَرَتْ لَهُ ثِيابًا نَظيفَةً لائِقَةً ، فَبَدا مِنْ جَديدٍ رَجُلاً بَهِيَّ الطَّلْعَةِ ، مُمْتَلِئًا بِالفُتُوَّةِ وَالجَلالِ . ثُمَّ نَهَضَ وَجَلَسَ عَلى كُرْسِيِّهِ العالي بِجِوارِ النّارِ ، ثُمَّ وَجَّهَ الحَديثَ إِلى بِينيلوبِي قائِلاً :

« أَيْ سَيِّدَتي ! لا أَشُكُّ لَحْظَةً في أَنَّكِ أَجْمَلُ مَليكَةٍ بَيْنَ الأَحْياءِ ، وَأَقْسى مَليكَةٍ كَذَلِكَ ؛ فَما مِنِ امْرَأَةٍ لا يَذوبُ قَلْبُها رِقَّةً وَحَنانًا وَهِيَ تَرى زَوْجَها بَيْنَ يَدَيْها بَعْدَ غِيابٍ طَويلٍ مَريرٍ ، تَكَبَّدَ فيهِ مِنَ المَخاطِرِ وَالأَهْوالِ ما لا يَتَصَوَّرُهُ عَقْلٌ ، وَلا يَخْطُرُ عَلى قَلْبٍ ! فَما شَأْنُكِ يا سَيِّدَتي ؟» ثُمَّ اسْتَدارَ نَحْوَ المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يوريكْليا وَقالَ

لها : « أيْ مُربّيَتي ! أعِدّي لي فِراشاً هُنا ، فسأنامُ في هَذا المكانِ وَحْدي . إنَّ قَلْبَ بينيلوبي قاسٍ كالصَّخْرِ ، بَلْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُ قَساوَةً وَغِلْظَةً .»

عِنْدَئِذٍ سَنَحَتِ الفُرْصَةُ لِبينيلوبي أنْ تَضَعَهُ مَوْضِعَ الاختبارِ ، فَقالَتْ لِلْمُرَبّيَةِ العَجوزِ : « لا يا يوريكْليا » لا تَضَعي لَهُ فِراشاً هُنا ، وَلكِنْ ضَعي لَهُ فِراشاً خارِجَ غُرْفَةِ النَّوْمِ الّتي بَناها لَنا حينَ تَزَوَّجْنا ، ثُمَّ أحْضِري لَهُ المَقْعَدَ ذا القَدَمَيْنِ مِنْ داخِلِ الغُرْفَةِ ، لِيُريحَ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ المُتْعَبَتَيْنِ .»

قالَ أوديسْيوسُ ، وَقَدْ فَطِنَ لِما استَهْدَفَتْهُ زَوْجَتُهُ : « كَيْفَ يَتَسَنّى لأيَّةِ قُوَّةٍ أنْ تُزَحْزِحَ ذَلِكَ المَقْعَدَ عَنْ مَكانِهِ ، أوْ تَنْقُلَهُ خارِجَ الغُرْفَةِ ؟ لَقَدْ صَنَعْتُهُ بِيَدَيَّ بِقاعِدَةٍ ثابِتَةٍ مِنْ جِذْعِ إحْدى الأشْجارِ ، فَلا يَتَأتّى تَحْريكُهُ مِنْ مَكانِهِ أوْ نَقْلُهُ إلا بِقَطْعِ جِذْعِ الشَّجَرَةِ .»

عِنْدَئِذٍ انْجابَ الشَّكُّ عَنْ قَلْبِ بينيلوبي وَهَفا بِكُلِّ أشْواقِ السِّنينَ إلى زَوْجِها ، فَألْقَتْ بِنَفْسِها بَيْنَ أحْضانِهِ ، وَأحاطَتْ عُنُقَهُ بِذِراعَيْها ، لا تُريدُ أنْ تَنْفَكَّ عَنْهُ ، أوْ تُفارِقَهُ أبَداً . ثُمَّ شَرَعَتْ ، وَرَأْسُها مُسْنَدَةٌ إلى صَدْرِهِ ، تُغَمْغِمُ بِكَلِماتٍ فيها مَعْنى الاعْتِذارِ لِزَوْجِها وَتَقولُ :



« لا تَعْتِبْ عَلَيَّ يا زَوْجي الحَبيبَ ، وَلا تَغْضَبْ مِنّي ؛ فَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ مِنَ الأحْداثِ ما زَرَعَ الخَوْفَ في صَدْري ، وَجَعَلَني دائِماً في خَشْيَةٍ مِنْ أنْ يَأْتِيَ مُخادِعٌ أفّاقٌ فَيَخْدَعَني وَيَنْتَزِعَني مِنْ زَوْجي الّذي كُنْتُ أنْتَظِرُهُ في شَوْقٍ عارِمٍ ، وَلَهْفَةٍ طاغِيَةٍ . أما وَقَدْ أخْبَرْتَني بِسِرِّ الفِراشِ الّذي لا يَعْرِفُهُ أحَدٌ غَيْري وَغَيْرُكَ وَغَيْرُ المُرَبّيَةِ العَجوزِ الوَفِيَّةِ ، فَلَمْ يَعُدْ إلى الخَوْفِ في نَفْسي سَبيلٌ .»

وَنَهَضَ الزَّوْجانِ إلى غُرْفَتِهِما ، تَتَقَدَّمُهُما المُرَبّيَةُ العَجوزُ الوَفِيَّةُ يوريكْليا ، تَحْمِلُ بِيَدِها مِشْعَلاً يُضيءُ لَهُما الطَّريقَ ؛ لِكَيْ يَنْعَما بِما كانا يَنْشُدانِهِ مِنَ السَّعادَةِ وَالهَناءَةِ مُنْذُ أمَدٍ طَويلٍ ، وَلِكَيْ يُمَتِّعَ أوديسْيوسُ العَظيمُ زَوْجَتَهُ بينيلوبي بِما يَقُصُّهُ عَلَيْها مِنْ أنْباءِ المَخاطِرِ الّتي قاساها ، وَالصِّعابِ الّتي تَخَطّاها .

من الإلياذة لهوميروس

١ - حصار طروادة

من الأوذيسيا لهوميروس

١ - مغامرات أوديسيوس




مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198701


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net